الباب الثالث

الرسول ﷺ وتعدد الزوجات

لقد مضى القول فى بيان حكم تعدد الزوجات بالنسبة إلى أفراد الأمة، وأنه لا يجوز التعدى فيه إلى أكثر من أربع؛ وفندنا الشبه الواردة عليه، ولكن بقى القول فى تعدد الزوجات بالنسبة إلى النبى ﷺ، لماذا لم يلتزم الحد الذى حده القرآن للأمة، هل له خصوصية فى ذلك، وهل يدل هذا التعدد على أنه رجل شهوة لا يطيق الاقتصار على أربع كبقية الناس؟

والتاريخ لم يحك اعتراضًا من الصحابة على النبى ﷺ فى كثرة زوجاته، ولكن أثار الاعتراض رجل من أهل الاعتزال متهم فى دينه، هو أحمد بن حائط أحد أصحاب إبراهيم بن سيار النظام، وتجرأ فى النقد إلى حد أنه قال: إن أبا ذر أزهد من محمد ﷺ.

وقد حكم المسلمون على هذا الرجل بالكفر، لأنه له - إلى جوار ذلك - بدعًا شنيعة، كقوله: إن للخلق إلهين، إلهًا خالقًا وهو الإله القديم، وإلهًا مخلوقًا هو عيسى؛ وزعم أن عيسى هو الذى سيحاسب الناس يوم القيامة، وهو المعنى بآية: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ** ﴾ [البقرة: ٢١٠][1]، واتخذ المبشرون هذه المسألة حديثًا للطعن فى زهد النبى ﷺ وعفته، فقالوا: إنه رجل شهوانى.

ولبيان الحق فى هذا الموضوع نرتب القول فى الفصول الآتية:

* * *

(١) خطط المقريزى (٤/١٦٧)، مطبعة النيل.

الفصل الأول

رد الشبه على تعدد زوجات النبى ﷺ

يتلخص ما وجه للنبى ﷺ من طعون فى زواجه، فى نقطتين: الأولى: أنه خالف مبدأ وحدة الزوجة الذى يدعى المفترون أنه هو الشريعة الأصلية الأولى، والثانية: أنه خالف ما حدده الإسلام للأمة، فزاد على أربع؛ والنقطة الأولى طعن فى شريعته العامة، والثانية طعن فى شخص الرسول ﷺ، وقد سبق القول بأن الإسلام ليس هو الدين الوحيد الذى أباح تعدد الزوجات، أما موقف الرسول ﷺ فى حياته الشخصية من هذا المبدأ فيتبين مما يأتى:

إن النبى ﷺ سار فى زواجه على الأصل المتبع فى قومه وفى الدين السابق عليه، حتى إذا جاء الأمر بمنع الزيادة على أربع، وطبقه فى أمته كان تطبيقه بالنسبة إليه غير ممكن، وذلك أن الله سبحانه هو الذى أقره عليه، وأمره بالمحافظة على الوضع الذى هو فيه، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۞ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٠، ٥١].

لقد أحل الله له ما تزوجهن من النساء الطيبات اللاتى دفع مهورهن وما ملكت يمينه، وأحل له قريباته اللاتى هاجرن معه، كما أحل له أية امرأة تهب نفسها إليه، وارتضاها زوجة له، وذلك خاص به وحده.

والظاهر أن هذه الآية تقرير للواقع الحاصل عند النبى ﷺ، لأنها نزلت فى سورة الأحزاب، بعد أن جمع الرسول ﷺ نساء كثيرات تحت عصمته، ومعنى التحليل بعد وقوعه أنه مسموح له أن يمسكهن عنده حتى جاء التحديد بأربع، وإذا نفذ الرسول ﷺ أمر الله فلا حرج عليه، كما حدث فى تزوجه من زينب بنت جحش مطلقة متبناه زيد بن حارثة، قال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا** ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

قد سبق القول بأن آية التحديد بالأربع نزلت فى السنة الثامنة للهجرة، على ما قاله المحققون، وكان ذلك بعد بنائه بزوجاته جميعًا، فآية سورة النساء التى حددت الأربع نزلت بعد سورة الأحزاب التى مُنع رسول الله فيها أن يتبدل بأزواجه غيرهن: ﴿ **لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ** ﴾ [الأحزاب: ٥٢]، كما منع أن يتزوجهن أحد بعده: ﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فلو فارق من زاد على أربع ما وجدن أحدًا يتزوجهن، وهنا تضيع حكمة الإسلام من الزواج وعدله فى التشريع، فكان إمساك النبى ﷺ لزوجاته وعدم الزيادة عليهن وعدم استبدالهن أمرًا لازمًا لهذا، ومن حكمه أنه بمثابة مكافأة لهن على موقفهن منه عندما خيرهن بين المقام معه على رقة حاله، وبين إمتاعهن وتطليقهن، حيث اخترن البقاء معه.

لكن بعض المفسرين، قال: إن منع التزوج عليهن بعد اختيارهن له قد نسخ بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ** ... ﴾ على القول بأن هذه الآية ليست تقريرًا للواقع، بل هى إنشاء لحكم جديد، وذلك لتكون له المنة عليهن فى إمساكهن وترك التزوج عليهن، قالت عائشة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء، تعنى اللواتى حرمن عليه، ولذلك تزوج بعد التخيير، روى البخارى

ومسلم عن عائشة، قالت: كنت أغار من اللائى وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ، وأقول: أما تستحى المرأة أن تهب نفسها؟ فلما أنزل الله: ﴿ **تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ** ... ﴾، قلت: ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك[1].

وبهذه المناسبة قال العلماء: هل تخيير النبى ﷺ لنسائه كان بين إمتاعهن بالدنيا وبين اختيار الآخرة، أو بين طلاقهن وبين المقام معه؟ رأيان فى الموضوع، والتخيير نزل بعد انتهاء مدة اعتزالهن، وهى شهر، وسبب الاعتزال مختلف فيه، ويجوز أن تكون الأسباب كلها سبباً له، وإن كان الأليق أن يكون السبب هو طلب النفقة.

وقال المفسرون فى قوله تعالى: ﴿ **تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ** ... ﴾: إن الله أحل له أن يتصرف فيمن تحت يده كما يشاء، بين الإمساك والمفارقة، والإرجاء يفسر بمعنى تأخير من تشاء أنت منهن ألا تعيش معك، وأن تؤوى أى تمسك من تشاء أنت منهن أن تعيش معك؛ وقيل: المراد من تشاء هى أن تعيش معك أو لا تعيش، وهذا يعطى لهن الاختيار لتكون الحياة معه بمحض إرادتهن لا إكراه لهن فيها، فلكل منهن أن تختار ما تشاء من الأمرين، وليس فى ذلك حزن لواحدة إذا عاشت معه على رقة حاله، مادام ذلك باختيارها، فإذا اختارته كان ذلك دليل الحب والتقدير لمنزلته عند الله، وهذا الشعور يصرفهن عن الاهتمام بعرض الدنيا، فإن أى شىء، ولو كان يسيراً، يأخذنه من النفقة مع هذا الشعور له قيمته، ولا يكون له تأثير سيئ على نفوسهن، فجانب الكمال الآخر أقوى، وهذا الرضا شىء كامن فى النفس، ويمكن لمن عندها إيمان قوى أن تجعل العيش مع النبى ﷺ فى حالة زهده ورقة عيشه فيه رضا وسعادة، والله مطلع على ما فى القلوب من شعور، ويعطى القناعة للخيّرات من النساء، ومن تمام كرمه وحلمه أن يغفر بعض الزلات التى تنشأ من طبيعة النفس البشرية الحريصة على متعة الحياة.

وكان لاختيارهن الحياة مع الرسول ﷺ على رقة حاله تقدير كبير عند الله،

---

(١) حسن الأسوة.

فجازاهن بأن مع النبى ﷺ أن يضم عدداً آخر إليهن بعد ذلك، تلافيًا لما قد يوجد من مضايقات له ولهن، وحتى لا يفهم من ذلك أن المقصود هو الاقتصار على العدد الموجود دون مجاوزته، منعه من أن يستبدل بواحدة منهن أخرى أو بهن جميعًا.

ويتفرع على هذا الحكم حكم آخر بحثه العلماء، وهو: هل منع الاستبدال بمنع التطليق؟ إن منطوق الآية لا يدل على المنع، وإن كان يفهم من قوله: ﴿ **وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ** ﴾ جوازه، لأنه مقتضى معنى التبديل، لكن يفهم من قوله تعالى: ﴿ **وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا** ﴾ لأنهن لو طلقن لم يجدن من يتزوجهن، وفى هذا ضرر عليهن، والله لا يحب لهن الضرر بل يحب الخير، فذلك مقتضى التكريم لهن.

غير أنه يقال: إنه لم يفارقهن بالطلاق فإنه سيفارقهن بالموت، والفراق على كلتا الحالتين فيه ضرر لهن لعدم زواجهن بعده، فالظاهر أنه يجوز له الطلاق، وإن كان تكريمهن يقتضى عدم جوازه، لكن يعكر عليه موقف سودة من النبى فى خوفها أن يطلقها لما كبرت سنها، فتنازلت عن نوبتها لعائشة فى مقابل إمساكها، فإن معناه أن الطلاق كان جائزًا له.

ويَرد هذا إذا كان موضوع سودة حدث بعد نزول آية: ﴿ **لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ** ﴾ فإذا كان قبل نزولها فلا يعترض به.

وقد ذكر الزرقانى فى شرحه للمواهب اللدنية (٥ / ٢١٢) رأيين فى جواز التطليق وعدمه، فأجازه البعض لأنه حق يجب أن يتمتع به، وإن كان لم يحصل، تكريمًا لهن، ومنعه البعض الآخر، وصحح الرأى الأول، كما قاله شيخ الإسلام وغيره.

هذا هو معنى الإرجاء والإيواء لمن عنده بالفعل، أما إذا حمل على من ليس فى عصمته وقت نزول الآية، فإن معناه: تؤخر تزوج من تشاء منهن، أى من هذه الأصناف التى أحلت لك، وتؤوى إليك أى تتزوج الآن من تشاء.

ويتبين مما قدمنا أن النبى ﷺ كان مأموراً أن يمسك من عنده من الزوجات، وجاءت آية التحديد بأربعٍ، فلم يكن تطبيقها عليه.

ثم يقال فى الرد على هذا المطعن: إن التعدد ممنوع عند خوف عدم العدل وعدم الكفاية، والرسول ﷺ كان عنده الأمران المسوغان للتعدد، أما توفر العدل فقد مر هَدْيُه فى ذلك، ورأينا حرصه الشديد على مراعاته، مما قلل كثيراً من الآثار التى تنجم عن التعدد مع عدم العدل.

وأما الكفاية فإنهن رضين بزواجه وهن يعلمن رقة حاله، واستمررن معه على ذلك عدة سنوات، ولم تفكر واحدة منهن فى مفارقته، على الرغم من أنه هيأ الفرصة لهن فيها، وذلك بالتخيير فاخترنه، مراعيات الجانب الأدبى الذى لا يعوضه عند مفارقته، وكونهن طلبن امتاعهن بشىء من زينة الدنيا لا يعد عيباً: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ** ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وعندما علمن أكثر أن الخير فى عدم إمتاعهن رضين بذلك.

ثم يقال: لم يَرد أبداً أن أحداً من أصحاب النبى ﷺ اعترض عليه، وهو يمسك العدد الذى حرم على أمته، وكانوا لا يسكتون عن شىء يرونه مخالفاً لما أمروا به، ولهم فى ذلك حوادث كثيرة، حيث كانوا يريدون بسؤاله الاستفهام والتعلم، لا الاعتراض والإنكار، وذلك كمسألة نهيهم عن الوصال فى الصيام مع أنه يفعله، فدل سكوتهم هذا على أحد أمرين، إما أنه مأمور قبل التحديد بإمساك من عنده من الزوجات، وإما أن إمساك هذا العدد من خصوصياته التى انفرد بها عن الأمة، كغيرها من الخصوصيات الكثيرة.

بعد هذا نقول: إن الرسل جميعاً لهم خصوصيات ليست لأفراد الأمة، بحكم مركزهم الأدبى ولحاجة الرسالة إلى ذلك، وقد ألفت كتب فى خصائص النبى ﷺ، وصنفها العلماء تصنيفاً دقيقاً، بينوا ما اختص به من المباحات التى لم تبح لغيره، والمحرمات التى لم تحرم على غيره، وغير ذلك مما لا يكون فيه الرسول موضع قدوة، وقد نص فى بعض هذه الأمور على الاختصاص بها

كالوصال، حيث قال: «إني لست كهيئتكم، إنما أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر بألفاظ مختلفة، وتفصيل حكم الوصال مذكور في الزرقاني على المواهب (٧/١٠٨).

وقد أوجب العلماء - على الصحيح من الأقوال - البحث في هذه الخصوصيات، وقال النووي في الروضة والتهذيب، معللاً ذلك: لأنه ربما رأى جاهل بعض الخصائص ثابتًا في الحديث الصحيح فعمل به، أخذًا بأصل التأسي، فوجب بيانها لتُعْرف فلا يعمل بها[1].

وهذه الخصوصيات لا يلزم أن تكون لمجرد الإمتاع والتخفيف، فقد يكون في بعضها شدة وتضييق لمناسبة مقام الرسالة، أو لرفع الدرجات والابتلاء، فمثلاً كان من الواجب على النبي ﷺ صلاة الضحى والليل والوتر وركعتي الفجر والسواك والأضحية، مع أنها مسنونة لأمته، وحرمت عليه أمور هي حلال لأمته، كأخذ الزكاة والصدقة، وأكل البصل والثوم وما له رائحة كريهة، وذلك لتوقع مجيء الملائكة والوحي له في كل ساعة، ونكاح الكتابية لأن زوجاته في الدنيا زوجات له في الجنة، والنكاح في الإحرام، والزواج بدون ولي وشهود، وإن كان لم يفعل بعض هذه المباحات.

وكان المباح له مما حرم على أمته الزيادة على أربع من النساء في الزواج، إذا تغاضينا عن كون ذلك أمرًا من الله له على النحو الذي قدمناه.

وبهذا العرض سقطت الشبهة ورفض الطعن الخاص بمخالفة مبدأ الوحدة، وبالزيادة على أربع.

شبهة شهوانية الرسول ﷺ:

قال الطاعنون: إن إكثار محمد ﷺ من الزوجات دليل على شهوانيته، وأنه رجل دنيا ومتعة، لا رجل آخرة وزهادة، وللرد على ذلك، نقول:

إن الشهوانية تطلق ويراد بها أحد معنيين: أن يكون الرجل مكتمل

---

(١) المواهب (١/٣٨٥).

الرجولة، ليست به علة تمنع المباشرة الجنسية، أو الاهتمام الزائد بالمتعة الجنسية على شاكلة المترفين اللاهين، الذين يستعينون أحيانًا على استعمال متعتهم هذه بالأغذية الجيدة والأدوية المقوية، وهذا يؤدى إلى نسيان الحظ الأخروى والانصراف إلى متعة الدنيا.

والمعنى الأول للشهوانية لا يعد ذمًا، بل هو وصف كمال للرجل، لا يذم به بل يذم بالعجز عنه، أو على الأقل لا يتساوى فيه من حرم منه ومن أنعم به عليه؛ والنبى ﷺ كان مكتمل الرجولة، ولم يكن حصورًا كما كان غيره من الأنبياء، قال تعالى فى شأن يحيى: ﴿ **أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [آل عمران: ٣٩]، وقد رفع عيسى ولم يتزوج قط.

أما المعنى الثانى للشهوانية فهو لا يليق بالأشخاص العاديين، فكيف بالأنبياء والمرسلين؟ وكل ما نسب إلى الرسول من ذلك فهو افتراء، ومما تمسك به أصحاب هذا المطعن بعض أخبار وردت كان بعضها مكذوبًا، وبعضها ثابتًا فهموه فهمًا خطأ يدعمون به شبهتهم، منها:

(أ) قول النبى ﷺ: «حُبِّب إلىَّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عينى فى الصلاة» رواه النسائى عن أنس، والطبرانى فى معجمه الأوسط، والحاكم فى المستدرك، وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال الحافظ: إسناده حسن عن أنس، وفسر الطاعنون هذا الحب بالشهوانية.

ويرد تفسيرهم هذا بأن الحب إذا أطلق لا يجوز أن يقصر على المعنى الجنسى، فقد يكون حبًا قلبيًا عاطفيًا يعلو على المتعة الجنسية، كما يحب الإنسان أمه أو أخته أو أحد أولاده أو أصدقائه، والنبى ﷺ أوصى بالنساء كثيرًا لضعفهن، فلماذا لا يكون حبه لهن فى الحديث المذكور من هذا القبيل؟

وعلى فرض أن المراد بالحب هو الحب الجنسى، فإن لفظ: «حُبِّبَ» يعطى أن ذلك تكليف خارج عن إرادته، حيث لم يقل: «أحب أو أحببت»[1]،

---

(١) هامش تفسير ابن كثير فى أول سورة «المؤمنون».

وذلك للنزول بالنبى ﷺ إلى رتبة البشرية التى يستطيع معها أن يمارس مهمة الدعوة، فلا يعيش روحانيًا خالصًا، ولعل مما يشر إلى صحة هذا المعنى قوله: «وجعلت قرة عينى فى الصلاة» فالصلاة أعظم محبوب عنده، ومن كان كذلك فهمه فى النساء لم يكن بالدرجة التى تصرفه عن قرة عينه وهى الصلاة والعبادة.

وقد يكون الحديث ردًّا على بعض من يرون أن مقياس التدين هو الرهبانية والتبتل والامتناع عما أحل الله من الطيبات، مثله مثل ما ورد من رده ﷺ على من ذهبوا إلى بيته وتقالوا عبادته فعزموا على الانصراف الكلى للعبادة بقيام الليل أو صيام الدهر أو عدم الزواج، فبيّن لهم أنه أخشاهم وأتقاهم الله، ولكنه يصوم ويفطر، ويقوم ويرقد، ويتزوج النساء، وأن من رغب عن سنته فليس منه، كما رواه البخارى ومسلم.

(ب) قوله تعالى في عدم حل النساء له بعد زوجاته وعدم استبدال غيرهن بهن: ﴿ **وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ** ﴾ فهذا القول يدل على أنه كان مغرمًا بالنساء، ولولا نهى الله له لتزوج كثيرًا من الجميلات اللاتى يعجبه حسنهن، كضُباعة التى وصف له حسنها فصرفه الله عنها، ولم يطلق سودة لكبر سنها، وكان قد هم به.

ويرد على هذا بأن الإعجاب بالحسن أمر طبيعى مركوز فى نفوس البشر، بل إن النبى ﷺ وصف الله بالجمال وحب الجمال: «إن الله جميل يحب الجمال» رواه مسلم عن ابن مسعود[1]، فلا يعاب أحد على ذلك من جهة الطبع ولا من جهة الشرع، وإنما العيب فى استغلال ذلك استغلالاً سيئًا، وهمُّ النبى ﷺ بطلاق سودة كان فهمًا منها هى: وإعجابه بجمال ضباعة لم يرو بطريق صحيح.

(جـ) حديث أنس: كان ﷺ يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل، وهن إحدى عشرة، قال الراوى عن أنس: قلت: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين، رواه البخارى[2]، وفى رواية الإسماعيلى: قوة أربعين، فدورانه على نسائه كلهن وحديثهم عن قوته يدلان على شهوانيته.

---

(١) رياض الصالحين ص٢٧٦.

(٢) المواهب اللدنية (١/٣٤٢).

ويُرد على هذا بأن حديث أنس كان فى معرض القوة الخارقة العجيبة، لا فى مقام الذم له باللهو بالنساء، والتوفيق بين واجب الدعوة الضخم والواجب العائلى يدل على شرف وكمال للنبى ﷺ لم يتح لغيره.

ومع ذلك فالحديث ليس فيه نص على أن دورانه على جميع نسائه كان بجماع، بل إن الواقع العادى لا يصدقه، وذلك لعدم كفاية الساعة الواحدة للمرور على إحدى عشرة امرأة، وبخاصة أنه ندبنا إلى الغسل من كل جماع، فكيف يتوفر له الوقت لذلك، مع ما علم عنه من حرصه الشديد على قيام ساعات طويلة من الليل، وكذلك هذا العمل غير مقبول شرعًا، فأين القسم الذى خصص به ليلة لكل زوجة، وكيف يعطى غير صاحبة النوبة من نوبتها؟ وإذا قيل: إنه إن دخل على واحدة فى غير نوبتها دخل على الجميع حتى يتساوين فى ذلك فأنا أرجح أن مثل هذا العمل لم يحصل من النبى إلا نادرًا، فهناك من الشواغل الدينية ما لا يساعده على ذلك، وهذا الجهد الجبار يحتاج إلى قوة بدنية أساسها شهى الطعام وراحة الجسم وفراغ البال، وهل توفر للنبى ﷺ كل هذا أو بعضه؟ اللهم إلا إذا كان ذلك نفحة قوية من الله منحه إياها، وللأنبياء مزيد فضل من ربهم على غيرهم من الناس، فإن سليمان حلف أن يطوف على نسائه فى ليلة واحدة، وهو طواف جماع بدون شك، وذلك لتأتى كل منهن بفارس يجاهد فى سبيل الله، كما رواه البخارى، وكان له ألف من النساء ما بين زوجة وسرية كما سبق ذكره.

وقيل: إن إبراهيم عليه السلام، كان على كبر سنه يزور هاجر من الشام إلى مكة على البراق كل يوم، شغفًا بها وقلة صبر عنها، كما ذكره ابن سعد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن أبيه.

(د) روى أن النبى ﷺ شكا إلى جبريل ضعف الوقاع، فَدَلَّه على الهريسة[1]، وهذا يدل على أن النبى كان شهوانيًا مهتمًا بتحسن حالته الجنسية.

---

(١) المواهب اللدنية (١ / ٢٧٥).

ويرد على ذلك بأن الحديث باطل، صرح الحافظ ابن ناصر الدين فى جزء له سماه: «رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة» بأنه موضوع، وقد تقدم تفصيل ذلك فى الجزء الثالث.

وبعد مناقشة الآثار الواردة وبيان قيمتها العلمية أو معناها الصحيح، لنا بعض الأدلة العقلية على نفى الشهوانية المذمومة عن النبى ﷺ، منها ما يأتى:

١ – كان النبى ﷺ عفيفًا وهو شاب، مع وجاهته ويسر الاتصال به، فكيف يكون بعد الرسالة شهوانيًا وهو فى شبابه بهذه العفة؟

٢ – لقد طلبته خديجة للزواج، ولم يتقدم هو إليها، مع أنه عمل لها طويلاً وهو قريب منها ليس بينهما حجاب كثيف؛ فكيف يصبر الشهوانى على نفسه، ولا يبادر لأول وهلة بطلب خديجة لنفسه، إنها هى التى تقدمت إليه مع رفضها لكبار قريش راضية بالفقير لصفاته النبيلة، كما أنه لم يتزوجها طمعًا فى مالها بعد الزواج، كما يفعل كثير من شباب اليوم الذى يرضون بالعجائز لثرائهن، فهو غير وصولى، ولو كان النبى وصوليًا فى زواجه منها لما حزن عليها بعد وفاتها، ومالها كله بين يديه، إنه قدّر فيها إيمانها ونبلها وصادق معونتها له فى الدعوة.

٣ – لو كان النبى ﷺ شهوانيًا، وقد ورث مال خديجة، لكان أول تفكيره بعد موتها هو فى التمتع بالأبكار كما يشاء، فهن أنتق أرحامًا وأعذب أفواهًا وأرضى باليسير، كما جاء فى وصيته لأمته بالتزوج منهن، ومع ذلك لم يتزوج بكرًا إلا عائشة، فقد تزوج سودة وأخريات تقدم بهن السن، وتزوج بعضهن قبله أكثر من مرة، فهل الشهوانى يعدل بالأبكار شيئًا؟

٤ – أن الرسول ﷺ آلى من زوجاته شهرًا، أى حلف ألا يقربهن، واعتزلهن فى مشربة له، فهل يصبر الشهوانى على البعد عن النساء كل هذه المدة؟

٥ – أنه خيّر زوجاته بين المقام معه على رقة حاله وبين إمتاعهن وتطليقهن،

فكيف يعمد الشهوانى إلى هذا التصرف، ومن الجائز أن يخترن فراقه، ولا يستطيع بعدهن أن يحصل على غيرهن، وهو فى حالة من الرقة لم ترض معها الزوجات السابقات أن يبقين معه؟ وهل يغيب عن الشهوانى مغبة هذا التصرف(١).

٦ – لقد أوجب على نفسه، القسم بين زوجاته بالعدل، وحافظ على عدم غمط إحداهن حقها، مع أن هناك تفاوتًا فيما بينهن، بما يجعل القلب يميل إلى إحداهن أكثر، والشهوانى رجل حر طليق من كل قيد يحد من حريته، إنه يريد الشهوة مرتعًا خَصبًا بعيدًا عن كل المعوقات والمضايقات.

٧ – كان النبى ﷺ مشغولاً فى أكثر أوقاته بواجبات الدعوة، إلى جانب واجبات نفسه، فكان بالنهار يدعو ويقضى بين الناس ويجهز الجيوش والإمدادات وينظم أمور المجتمع.. وبالليل كان يتعبد الساعات الطويلة، فأين هو الوقت الذى يكفيه، إن كان شهوانيًا، لإشباع رغبته الجنسية؟

٨ – الحالة المعيشية للرسول ﷺ كانت رقيقة – كما هو معروف – ولذيذ الطعام والشراب والراحة الكافية وما إلى ذلك مما يساعد على التمتع الشهوانى غير موجود، ومن الذى يصدق أن كهلاً تقدمت سنه بعد موت خديجة [كان عمره خمسين سنة]، وفى الوقت نفسه كان فقيرًا، إن لم يجد فى الصباح ما يأكله نوى الصيام، وأحيانًا كان لا يجد ما يفطر عليه من صيامه إلا الخل، فيتناوله شاكرًا راضيًا. وثبت أنه كانت تمر عليه الليالى الطويلة، شهرين أو أكثر ولا يوقد فى بيته نار لإنضاج طعام لذيذ. وكان عيشه على التمر والماء، من الذى يصدق أن من فى هذه الحالة يكون شهوانيًا؟ إن ذلك غير مصدق إن كان رجلاً عاديًا كبقية الناس، وهو ما يريد أن يصل إليه المغرضون، ولئن حدثت له قوة خارقة فهى تأييد من الله لخاصة خلقه، وهو دليل نبوته.

---

(١) أورد الكتاب هذا الأمر، ولكن ربما يعترض عليه بأن النبى ﷺ كان من الممكن أن يحصل على غيرهن مع رقة حاله، وذلك لحب الصحابة له ورغبتهم فى إرضائه بتزويجه أحسن نسائهن. ويدخل الله فى هذه الحالة معقول جدًا، قياسًا على قوله تصديقًا لقول عمر: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن﴾.

٩ – لو كان النبى ﷺ شهوانيًا لوفر لنفسه الطعام والشراب ووسائل الراحة الكافية، وكان الحصول على ذلك سهلاً، لأنه رئيس الدولة، والشعب كله يحب أن يوفر له ما يسره لو أراد، لكنه زهد وقنع، وتحرج عن مد يده إلى شيء من الخزينة العامة لمصلحة نفسه.

١٠ – إن بعض النسوة كن يعرضن أنفسهن عليه بطريق الهبة ليتزوجهن، فلم يقبل حتى لا يفتح عليه باب الهبة الواسع، وكان رده لهن لطيفًا، حيث كان يعتذر أحيانًا، ويؤثر بهن غيره، هل يطرد الشهوانى متعة جاءته ميسرة دون عناء من صداق ونحوه، مع وجود الرغبة فى الانضمام إليه والتمتع به؟

١١ – لقد ملك امرأة من أجمل نساء العرب، فلم يستبقها لنفسه يتمتع بها، بل بعث بها فداء لبعض الأسرى فى مكة؛ فعن سلمة بن الأكوع فى الحديث عن غروة فزارة: وفيهم امرأة منهم معها ابنة لها من أجمل العرب، قال: فسقتهم حتى أتيت أبا بكر، فنفلنى أبو بكر ابنتها، فقدمت المدينة وما كشفت لها ثوبًا، فلقينى رسول الله ﷺ فى السوق، فقال: «يا سلمة، هب لى المرأة»، فقلت: يا رسول الله أعجبتنى وما كشفت لها ثوبًا، ثم لقينى من الغد، فقال: «يا سلمة هب لى المرأة، لله أبوك»، فقلت: هى لك يا رسول الله، ما كشفت لها ثوبًا، فبعث بها رسول الله ﷺ إلى مكة، ففدى بها ناسًا من المسلمين كانوا أسروا بمكة، أخرجه مسلم وأبو داود.

ولى ملاحظات فى هذا الحديث:

(أ) كيف لم يستجب سلمة لطلب الرسول أولاً، ومقتضى الإيمان الكامل أن يؤثر المسلم رسول الله ﷺ على كل هواه؟ لعله كان يعلم أن الرسول لا يريدها لشهوة نفسه بل للفداء بها، وكان يتمنى أن يكون الفداء بغيرها من الأسرى حُبًّا لها، فهو لم يبخل على الرسول بما يحقق هواه الشخصى، بل تلكأ فى أمر آخر يرى أنه غير محتم عليه، مع أمله أن يبقيها له الرسول لما عرف من رحمته واحترامه لحقوق الغير.

(ب) فيه بيان لعدم استبداد الرسول، فلم يشأ أن يستولى عليها من مالكها إلا برضاه، وفى المرة الثانية استعطفه بقوله: «لله أبوك».

(جـ) تقديم رسول الله ﷺ المنفعة العامة على المنفعة الخاصة، فأرسل المرأة للفداء، ولم يتخذها لمتعته.

١٢ – أن النبى ﷺ لم يستكثر من السرارى، كما استكثر غيره، ولو كان شهوانيًا لكان فى مقدمة المستكثرين، فالثابت أنه لم يَتَسر بأكثر من أربع على ما سيأتى بيانه، مع أنه رغب فيهن كثيراً تمهيداً للعتق.

١٣ – لم يكن النبى ﷺ كامل الحرية فى التزوج بمن يشاء، بل كان زواجه بأمر من ربه، فقد روى عبد الملك بن محمد النيسابورى عن أبى سعيد الخدرى، حديث: «ما تزوجت شيئًا من نسائى، ولا زوجت شيئًا من بناتى إلا بوحى جاءنى به جبريل عن ربى عز وجل»(١).

١٤ – لقد بدأ النبى ﷺ زواجه الثانى بدخوله بعائشة فى المدينة، على بعض الآراء، وكانت سنه أربعًا وخمسين، وهل مثل هذه السن تسمح لصاحبها أن يكون شهوانيًا بالمعنى المعروف، إنه لم ينجب من واحدة منهن حتى من عائشة البكر الصغيرة، أو من صفية التى كانت سنها حوالى ثمانى عشرة سنة، وهذا دليل، إلى حد ما، على ضعف ناحية الإخصاب، أو قدرة حيواناته المنوية على التلقيح، وهو بالتالى يدل على عدم الشهوانية، فقد جاء بكل أولاده من خديجة، وهو فى فترة القوة الجنسية، ولم ينجب بعد ذلك إلا إبراهيم من مارية القبطية بعد السنة السادسة للهجرة.

هذه بعض الأدلة التى تدحض شبهة شهوانية الرسول، بالمعنى الذى يصح أن يكون مطعنًا على مقامه الشريف، وإذا لم يكن النبى ﷺ شهوانيًا فكيف نعلل زواجه الكثير؟ الجواب فى الفصل التالى.

* * *

---

(١) الزرقانى على المواهب (٣ / ٢١٩).

obeikandl.com

الفصل الثانى

حكمة تعدد زوجات النبى ﷺ

هناك حكم عامة لكثرة أزواج النبى ﷺ، وحكم خاصة بكل واحدة منهن.

أولاً: الحكم العامة:

من الحكم العامة، ما يأتى:

١ – تبليغ الأحكام الخفية الخاصة بالحياة الزوجية، والتى لا يطلع عليها إلا الزوجات غالبًا، ومعرفة السياسة الخاصة بالمنزل والمعاشرة الزوجية لها منزلتها فى الحياة الاجتماعية، وقد يصعب على واحدة أو قلة من الزوجات القيام بهذا التبليغ كما ينبغى، وذلك لكثرة الأسئلة عن هذه الأحوال الخاصة؛ وكان لأزواج النبى ﷺ باع طويل فى رواية الأحاديث وتبليغ الأحكام بوجه عام، وعلى رأسهن السيدة عائشة، التى روت من الأحاديث قرابة ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، وتلقاها عنها كثير من الصحابة والتابعين، وكذلك روت السيدة حفصة ستين حديثًا.

فمن الأحكام الخفية التى لا يعرفها إلا الزوجات تقبيل النبى لزوجاته وهو صائم، فقد أخبرت بذلك أم سلمة، وكذلك إخبار إحدى زوجاته أنه كان يأمرها أن تتزر وهى حائض ثم يضاجعها، وقد مر ذلك فى الجزء الثالث الخاص بحقوق الزوجين.

٢ – الاستعانة بهن فى شرح الغوامض التى كانت ترد فى إجابة النبى على أسئلة النساء، وفيما يستحيا من ذكره، كشرح عائشة للمرأة كيفية التطهر بغسل الحيض الذى كنّى عنه النبى ﷺ ولم يفصح، وقد كان عليه الصلاة والسلام على حياء كبير اضطره أحيانًا أن يكنى عن الأعضاء الخفية وما يتصل بها.

obeikandl.com

٣ – إظهار معجزة أو منقبة للرسول كانت كامنة، ولولا هذا العدد من الزوجات ما برزت للناس، وذلك بزيادة أعباء التكاليف عليه، إذ كيف تظهر قوة الرسول فى القيام بواجبهن جميعًا مع تقشفه وكثرة صيامه وطول قيامه ومشاق جهاده، الأمر الذى جعل الصحابة يتحدثون عنه بأنه أعطى قوة ثلاثين أو أربعين من الرجال؟ إنها طاقة لا تكون إلا للموهوبين أو المصطفين من الناس.

٤ – تحقيق صدقه فى دعوته، وتبرئته من تهمة الناس له بالسحر والكهانة وما إليهما، إذ كيف يعرف أنه ليس كذلك، وربما مارس هذه الأعمال خفية، كالاتصال بالجن مثلاً، حيث لا يكون غالبًا إلا سرًا، ولكن اطلاع الزوجات على أحواله الداخلية، وهن من هن يؤمن معه تواطؤهن على ستر العيوب، ولا يتصور اتفاقهن على ممالأته فى ادعاءاته إن كانت باطلة.

٥ – رفع درجات النبى ﷺ بزيادة أعباء التكاليف فى القيام بواجبهن، وما أشقه وأدقه وأهمه!! لقد كان الوحى يلاحقه وهو مضطجع مع بعض نسائه، كما رواه البخارى عن أنس: «يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة، فإنه والله ما نزل علىَّ الوحى، وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها».

٦ – إظهار أخلاقه الشريفة المستترة ومحاسنه الباطنة، التى لا تعرف إلا فى ظل الحياة الزوجية بشكل واسع، يدل على ذلك أنه تزوج أم حبيبة بنت أبى سفيان، وكان أبوها كافرًا محاربًا للرسول إذ ذاك، وتزوج صفية بنت حيى بن أخطب، وقد قتل أباها وعمها وزوجها، فلو لم تطلعا من بواطن أحواله على أنه أكمل الأزواج لكانت الطباع البشرية تقضى بالنفور عنه، والميل إلى الآباء والأقارب، وقد بلغ من إعجاب أم حبيبة بأخلاقه ﷺ أن عرضت عليه أن يتزوج أختها، لولا أن الجمع بين الأختين حرام، وقد صح ذلك عند البخارى ومسلم كما تقدم فى الجزء الثالث.

٧ – تأليف العرب بالمصاهرة، ليخفف ذلك من حدة عنادهم للرسول ﷺ، وقد كان لهذا الإصهار أثره فى مثل قول أبى سفيان، عندما سمع أن النبى تزوج بنته:

هو الفحل لا يُقْدَع أنفه، ذكره ابن سعد وغيره[1]، وفى مثل اختيار صفية لرسول الله ﷺ عندما خيّرها بين المقام معه والرجوع إلى أهلها وكان لهذا أثره فى تخفيف الحدة بين الرسول واليهود بعد ذلك، وكذلك فى مثل جويرية بنت الحرث المصطلقية التى اختارت الرسول عندما جاء أبوها يفتديها منه، وكان قد أخفى بعيرين، فقال له النبى ﷺ: «وأين البعيران اللذان بالعقيق فى شعب كذا وكذا»؟ فأسلم، وأسلم معه ولداه وناس من قومه، كما روته كتب السيرة.

ثانيًا: الحكم الخاصة:

ومن الحكم الخاصة بكل زوجة منهن ما يأتى، مع ملاحظة أن الزيادة على أربع لا تتحقق حكمتها فى زواج خديجة ولا عائشة ولا سودة ولا حفصة، فإن خديجة ماتت ولم يتزوج عليها فى حياتها، والأربعة اللاتى بعدها لا يسأل عن حكمة زواجهن، فهن فى حيز العدد المسموح به لكل فرد، ومع ذلك فإن لزواجه بكل منهن حكمة جليلة.

١ - **سودة**: تزوجها النبى ﷺ عقب وفاة خديجة بمكة، وذلك لرعاية أولاده، والتفرغ للقيام بواجب الدعوة، وكانت الدعوة شاقة فى مكة، وكانت سنُّ سودة تقارب السبعين، وكان زواجه بها أيضًا تشريفًا لها ولقومها، لأن أخوالها من بنى النجار، وهو يتألف بها بنى عبد شمس أعداء بنى هاشم، كما خاف عليها أن يفتنها قومها إذا رجعت إليهم بعد موت زوجها، وهو ابن عمها السكران بن عمرو، عند رجوعه من هجرة الحبشة الثانية.

٢ - **عائشة**: كان زواجه بها تقوية لرابطة الصداقة بينه وبين أبى بكر، وتكريمًا له على وقوفه بجوار النبى ﷺ وتحمل ما لم يتحمله غيره فى سبيل الدعوة، وبخاصة من الناحية المالية.

---

(١) قيل: إن عبارة: هو الفحل لا يقدع أنفه، قالها ورقة بن نوفل فى النبى ﷺ حين خطب خديجة، وأصحاب الحديث يرددونها بلفظ: «يقرع» بالراء بدل الدال، قالوا: إن البعير إذا لم يكن كريمًا، وأراد الناقة الكريمة يضرب أنفه بالرمح حتى يرجع، يقال: قدع أنفه عن كذا، أى منع، والفحل هو الذكر من ذوى الحافر والظلف والخف وغير ذلك من ذى الروح، حياة الحيوان الكبرى، للدميرى - فحل، ونهاية ابن الأثير.

٣ – **حفصة**: تزوجها النبى ﷺ إكرامًا لأبيها عمر بن الخطاب، على الرغم من عدم وجود ما يغرى على زواجها فإنه بعد موت زوجها خنيس بن حذافة السهمى عقب غزوة بدر عرضها أبوها على أبى بكر وعثمان، عقب وفاة زوجته رقية بنت النبى فلم يجيباه، وقد قال عمر لها، عندما راجت شائعة طلاق النبى ﷺ لزوجاته: والله إنى لأعلم أن رسول الله لا يحبك، ولولا أنا لطلقك، كما رواه مسلم، وتقدم فى الجزء الثالث؛ وكانت صوامة قوامة أمره جبريل بإمساكها، لأنها زوجته فى الجنة، كما سيأتى بيانه فى ترجمتها.

٤ – **أم سلمة**: تزوجها فى السنة الرابعة للهجرة بعد موت زوجها عقب غزوة أحد، وكان زواجه بها مكافأة لها على ما لقيته من الشدة عند إسلامها وعند هجرتها، فقد كانت أول مهاجرة للحبشة، وأول ظعينة[1] للمدينة، انتزعها أهلها من زوجها عند هجرته، ثم لحقت به بعد ذلك، وكان لها أولاد من أبى سلمة، اعتذرت بسببهم عن الزواج عندما عرض عليها ذلك أبو بكر وعمر، كما اعتذرت أولاً للنبى عندما خطبها، فكان زواجه بها عزاء لها، وتكريمًا لجهادها، وحماية لأولادها.

٥ – **زينب بنت جحش**: إن الأربعة السابقات لا يحتجن إلى تعليل لتعددهن، فهن فى حيز العدد المسموح به، ومن جاء بعدهن يحتاج زواجهن إلى تعليل، وأولاهن زينب بنت جحش، وقد تزوجها النبى ﷺ بعد أن طلقها زوجها زيد بن حارثة مولاه، وذلك لإبطال حكم التبنى، الذى كان يمنع تزوج الرجل بمطلقة ابنه المتبنى، كما كان فى زواج النبى ﷺ بها ردٌّ اعتبار لها، ومكافأة لها على رضاها بحكم الله ورسوله فى الزواج من مولى وهى شريفة قرشية، لأنها بنت أميمة عمة النبى ﷺ، وكانت هى موضع التجربة فى إزالة العصبية الجاهلية فى نظرتهم لكفاءة النكاح، إذ رأى أن تجربة الإلغاء تكون فيمن

---

(١) الظعينة: أى السائرة والمسافرة، وأصل الظعينة الراحلة يُرْحَل ويظعن عليها أى يسار، وقيل للمرأة ظعينة لأنها تظعن مع الزوج حيثما ظعن، أو لأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت، وقيل: الظعينة المرأة فى الهودج، ثم قيل للهودج بلا امرأة وللمرأة بلا هودج ظعينة، والجمع ظُعُن وظُعَن وظعائن. نهاية ابن الأثير.

يمكنه أن يتزوجها قبل زيد إذا أراد، ثم إنه قد استفاض عنها بعد طلاقها من زيد أنها أتعبته، ولهذا لم يجرؤ أحد على زواجها بعده، فتزوجها النبى ﷺ.

ومن اللافت[1] للنظر أن زيداً مطلقها هو الذى كلفه النبى ﷺ بخطبتها له، فالموضع كله تخطيط للتشريع، لا لشهوة أو دنيا، ولهذا كان الله سبحانه هو الذى زوجها للنبى ﷺ بدون ولى عنها، قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا** ﴾ وسيأتى توضيح ذلك، فكون الله هو الذى زوجها له، وعنده أربع، دليل على إباحة تجاوز هذا الحد له خاصة.

٦ – **جويرية**: كانت أسيرة فى غزوة بنى المصطلق، ووقعت فى سهم ثابت ابن قيس بن شماس الأنصارى، فكاتبها على تسع أواق من الذهب ليعتقها، فدفعها النبى ﷺ وعتقت وتزوجها، وكان عتقها سبباً فى أن مائة أهل بيت من بنى المصطلق أعتقوا، إكراماً لعتق النبى لها وزواجه بها، فليس من اللائق أن يكون أصهار النبى أرقاء، وقد رأى الصحابة ذلك دون ضغط عليهم، تقول عائشة، كما رواه أبو داود: ما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها، أعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق.

٧ – **أم حبيبة**: هى بنت أبى سفيان الذى ناصب النبى العداء طويلاً، تزوجها رحمة بها، حيث تنصر زوجها عبيد الله بن جحش بالحبشة، وأصبحت وحيدة، وأبوها وأخوتها مشركون، فكان من الإنصاف والرحمة والحماية من الفتنة أن يضمها النبى ﷺ إليه، فضمها وهى ما تزال بالحبشة، كما أن فيه تأليفاً لأبى سفيان، فقد حمد للنبى فعله ولم يتألم حين علم بزواجه منها، بل قال فيه: هو الفحل لا يقدع أنفه، كما تقدم.

---

(١) اسم الفاعل من الفعل الثلاثى على وزن فاعل: ومن الرباعى مُفعل والفعل «لفت» واسم الفاعل «لافت»، وليس الفعل «ألفت» حتى يكون اسم الفاعل «مُلْفت»، ومما يدل على أن الفعل ثلاثى قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا** ﴾ بفتح الفاء، وحرف المضارع مفتوح لكل الأفعال الماضية ما عدا الرباعى فهو بالضم.

٨ – **صفية**: هى بنت حُيَىٍّ بن أخطب زعيم بنى النضير، وقعت أسيرة فى سهم دحية بن خليفة الكلبى، فنفسها عليه إخوانه، لشرفها وجمالها، فضمها النبى ﷺ إليه، وأرضى دحية بقريبات لها، وتحققت بذلك رؤياها من قبل، على ما سيأتى فى بيانه فى ترجمتها.

٩ – **ميمونة**: تزوجها النبى ﷺ عندما كان معتمرًا فى مكة، وكان زواجه منها ربط صلته بأقاربه المصاهرين لأقاربها، حيث كانت أختها أم الفضل لبابة تحت عمه العباس، وكانت أختها لأمها أسماء بنت عميس زوجة لجعفر بن أبى طالب، وأختها لأمها أيضًا سلمى بنت عميس كانت تحت عمه حمزة، فتزوجها النبى ﷺ بعدما تأيمت من زوجها أبى رُهم الذى مات ولم يسلم.

١٠ – **زينب بنت خزيمة**: تزوجها النبى ﷺ عقب موت زوجها عبد الله ابن جحش فى أحد، فكان زواجه منها تكريمًا لها، وقد توفيت بعد أقل من سنة من زواج النبى ﷺ منها.

هذه هى بعض الحكم التى كانت فى زواج النبى ﷺ من هؤلاء الزوجات، وستأتى توضيحات أكثر عند ترجمة كل واحدة منهن، ويظهر من هذا أن زواج النبى ﷺ بهذا العدد لم يكن شهوة، بل كان دينًا وإنسانية، وكان فى نطاق المسموح به على ما مر بيانه لأنه تم قبل نزول آية التحديد بأربع.

* * *

الفصل الثالث

أحكام أزواج النبى ﷺ

عُنى المسلمون بالحديث عن زوجات النبى ﷺ كجزء من سيرته الشريفة التى تناولت كل ما يتصل به، وإلى جانب ذلك قام جماعة منهم بإفرادهن بكتابات خاصة، شرحوا فيها كل ما يتعلق بهن، من النواحى الفقهية والتاريخية، ومن أهم الكتب فى ذلك:

(أ) كتاب السمط الثمين فى أزواج الأمين، للمحب الطبرى.

(ب) كتاب أزواج النبى، لأبى عبيدة معمر المثنى، وهو مخطوط حققه الدكتور ناصر علاوى[1].

(جـ) كتب السيرة، وأوفاها «شرح الزرقانى على المواهب اللدنية، للقسطلانى»، وطبقات ابن سعد، وأسد الغابة، لابن الأثير، والإصابة، لابن حجر.

ومن الأحكام الشرعية الخاصة بهن، ما يأتى:

١ ـ تسميتهن بأمهات المؤمنين[2]، وليس ذلك لامرأة غيرهن، قال تعالى: ﴿ **وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** ﴾ [الأحزاب: ٦]، ولا يقال لهن: أمهات المؤمنات، فقد روى البيهقى فى سننه عن عائشة، وذكره البيضاوى والبغوى فى تفسيرهما: لسنا أمهات النساء، ويوضحه ما رواه الشعبى عن مسروق أن امرأة قالت لعائشة: يا أمَّه، فقالت: لست لك بأم، إنما أنا أم رجالكم.

وهذه الأمومة بالنسبة لنا لها نطاق خاص، فليست عامة فى كل شىء، كالميراث ونحوه.

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد١٣، جـ٢، نوفمبر ١٩٦٧م.

(٢) سواء منهن من مات عنها أو ماتت عنه كخديجة، كما قاله: «صاحب المواهب اللدنية».

٢ – لا يصح للنبى ﷺ أن يتزوج غير مؤمنة ولو كتابية، فهى لا تكون أما للمؤمنين، ولن تدخل الجنة معه.

٣ – لا يحل نكاحهن بعد النبى ﷺ لأن فيه إيذاء له، قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب:٥٣]، فالعلة هنا هى الزوجية لا الأمومة، والحكمة هى عدم إيذاء النبى لا قبح زواج الأم.

وعلل العلماء هذا الحكم أيضًا بأنهن أزواجه فى الجنة بنصه عليه الصلاة والسلام، ولا يليق بحرمته تزوج امرأة يعلم عودها له، وبأن المرأة لآخر أزواجها فى الجنة، كما تقدم بيانه فى الجزء الثالث، وقالوا أيضًا: إن النبى ﷺ حَىٌّ فى قبره، فهو كالنائم، ولهذا حكى الماوردى وجها للشافعية أنه لا تجب عدة الوفاة عليهن لحياته، ولأن العدة هى لاستبراء الرحم فى بعض الأحوال تمهيدًا للزواج، ولا زواج لهن بعده.

كذلك انتساب زوجات النبى له أشرف من انتسابهن لرجل آخر، والمطلوب توفير الشرف والكمال لهن، وقال العلماء: إن هذا الحكم يكون فيمن تزوجها بالفعل، أما من لم يتزوجها، بأن خطبها فقط، أو تزوجها وفارقها قبل الدخول كمن استعاذت به، فإن نكاحهن لا يحرم مادام لم يحصل دخول بهن، فإن دخل بواحدة ثم فارقها فهناك قولان فى حل زواجها وحرمته، والأصح الحرمة تكريمًا لمقام النبى ﷺ.

قال الزرقانى فى شرح المواهب[١]: من فارقها فى الحياة كالمستعيذة بالله منه، ومن رأى بكشحها بياضًا، فيها أوجه: يَحْرُمْن أيضًا لعموم الآية، فالبَعْدية هى بعدية النكاح، تعم الموت والمفارقة بغيره، وقيل: لا يحرمن، وقيل: يحرم المدخول بها فقط، لما رُوى أن الأشعث نكح المستعيذة فى أيام عمر، فَهَمَّ برجمه، لأنه باطل، ويعتبر زنى، فأخبر بأنها لم تكن مدخولاً بها.

---

(١) (٥/٢٨١، ٢٨٢).

٤ – وجوب احترامهن فى النظر والخلوة، فلسن فى ذلك كالأمهات، وكذلك فى نقض الوضوء باللمس، وفى التوارث أيضاً.

٥ – لسن كالأمهات فى تحريم بناتهن، فقد تزوج بناته من خديجة رجال، وليس إخواتهن خالات، ولا آباؤهن أجداداً، فقد تزوج الزبير بن العوام أسماء وهى أخت عائشة، والعباس كان متزوجاً من أم الفضل وهى أخت ميمونة زوج النبى ﷺ.

٦ – لا يحل سؤالهن أو الحديث معهن إلا من وراء حجاب، بمعنى حرمة رؤية شخوصهن ولو فى الأزر، وقد وضحنا ذلك فى الجزء الثانى، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

٧ – ثوابهن وعقابهن مضاعفان، كما جزم به البغوى وغيره، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ** ﴾ [الأحزاب: ٣٠]، وقيست مضاعفة الثواب على مضاعفة العقاب، ويرشح لذلك قوله تعالى: ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ** ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

٨ – عدم تطليقهن بعد اختيارهن للنبى ﷺ: ﴿ **لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ...** ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

٩ – التخيير بين المقام مع النبى وتطليقهن خاص بهن، لا يجوز لغيرهن كما قاله العلماء.

١٠ – هن أفضل نساء الأمة الإسلامية، لانتسابهن إلى النبى ﷺ وتحملهن ما لم يتحمله غيرهن فى الدعوة والحياة الزوجية مع النبى وبعده، وإذا كن أفضل نساء الأمة الإسلامية فهن أفضل نساء العالمين جميعاً، لأن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، على ما رآه بعض العلماء.

ويلاحظ أن التفضيل بين الأمم هو على الجملة، فلا يلزم منه تفضيل كل

فرد على كل فرد، وقد قيل بنبوة مريم وآسية امرأة فرعون، وأم موسى، فإن ثبت هذا القول خُصَّ هؤلاء من عموم التفضيل، وقيل أيضًا: إن حواء وسارة وهاجر من النبيات.

١١ – وإذا كان نساء النبى ﷺ أفضل النساء فمن الأفضل فيهن بالنسبة لهن؟؟

رأى أكثر العلماء أن خديجة وعائشة أفضل نسائه، أما الأفضل منهما ففيه خلاف، والصحيح المختار أن خديجة أفضل أمهات المؤمنين، ففى البخارى: «خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة»، أى مريم خير نساء الأمم الماضية، وخديجة خير نساء هذه الأمة، وقال الحافظ: جاء ما يفسر المراد صريحًا، فروى البزار والطبرانى عن عمار رفعه: «لقد فضلت خديجة على نساء أمتى، كما فضلت مريم على نساء العالمين» وإسناده حسن.

وقد مر فى هذا الجزء حديث أحمد والطبرانى فى بيان النبى ﷺ فضل خديجة، وسئل الإمام أبو بكر بن داود الظاهرى: أيهما أفضل؟ فقال: عائشة أقرأها النبى السلام من جبريل، وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربها على لسان محمد، فهى أفضل، يعنى خديجة أفضل، ثم قيل له: فمن أفضل، خديجة أم فاطمة؟ فقال: إن رسول الله ﷺ، قال: «فاطمة بضعة منى» فلا أعدل ببضعة رسول الله ﷺ أحدًا.

قال السيوطى: الصواب القطع بتفضيل فاطمة عليهما، وبقية النساء متقاربات فى الفضل، والله يعلم حقيقة ذلك، لكن حفصة لها كثير من الفضائل، فما أشبه أن تكون بعد عائشة.

وقال ابن القيم: «إن أريد بالفضل كثرة الثواب عند الله فذلك أمر لا يُطَّلع عليه فإن عمل القلوب أفضل من عمل الجوارح، وإن أريد كثرة العلم فعائشة لا محالة، أو شرف الأصل ففاطمة لا محالة، وهى فضيلة لا يشاركها فيها غير أخواتها، أو شرف السيادة فقد ثبت بالنص لفاطمة وحدها، ويقال أيضًا: إن

ما امتازت به عائشة من فضل العلم يقابله ما لخديجة من أنها أول من أجاب إلى الإسلام ودعا إليه، وأعان على ثبوته بالنفس والمال والتوجه التام، فلها مثل أجر من جاء بعدها، ولا يقدر قدر ذلك إلا الله تعالى» اهـ.

هذا كلام فى فضائل نساء النبى ﷺ بالنسبة لبقية نساء الأمة ونساء العالمين، وفى فضل بعضهن على بعض، وفى فضل فاطمة بالنسبة لهن، وقد ذكرته كمعلومات ليس لها أثر عملى فى سلوك القارئ أو الباحث، وقد يؤدى الخلاف بين الناس فى الأفضلية إلى خصومة وتنازع وتفرق، والإسلام يذم ذلك، والله لم يكلفنا معرفة الأفضل، وهو وحده أعلم به، والأجدر بنا أن نصرف همنا الفكرى فيما يفيد حاضرنا المملوء بالمشاكل، ومستقبلنا المشحون بالمفاجآت.

بقيت مسألة أخرى هى: هل زوجات النبى ﷺ يعتبرن من آل البيت أولاً؟

قيل: إن الزوجة تعد من آل البيت، بدليل قوله تعالى فى شأن إبراهيم وبيته: ﴿**رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ**﴾ [هود:٧٣]، وهو مذهب أهل السنة، وخالف فى ذلك الشيعة، فقالوا: لا تدخل الزوجة ضمن آل البيت إلا إذا كانت قريبة للزوج ومن نسبه، فإن المراد من البيت بيت النسب لا بيت الطين والخشب، ودخول «سارة» فى أهل بيت إبراهيم لأنها بنت عمه، والذى دعا الشيعة إلى هذا القول بغضهم لعائشة، فأرادوا إخراجها من حكم: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب:٣٣].

وقد صرح بعدم دخول نسائه فى أهل البيت عبد الله المشهدى من الشيعة، لكن أخرج الترمذى والحاكم وصححاه عن أم سلمة، قالت: فى بيتى نزلت: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ...**﴾ وفى البيت فاطمة وعلى والحسن والحسين، فجلّلهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه، ثم قال: «هؤلاء أهل بيتى، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»، وجاء فى رواية أخرجها الطبرانى عن أم سلمة أنها قالت: فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه ﷺ من

يدى، وقال: «إنك على خير» وفى أخرى رواها ابن مردويه عنها أنها قالت: ألست من أهل البيت؟ فقال ﷺ: «إنك إلى خير، إنك من أزواج النبى»، وفى رواية أخرى للترمذى وغيره عن عمر بن أبى سلمة: «أنت على مكانك وإنك على خير».

والأخبار الواردة فى عدم إدخال أم سلمة فى آل البيت لا تخفى، لكن جاء فى بعض الروايات عنها أنها قالت: أما أنا من أهل البيت؟ فقال: «بلى إن شاء الله» وفى بعض آخر: ألست من أهلك؟ قال: «بلى»، وأنه ﷺ أدخلها الكساء بعدما قضى دعاءه لهم، وقد تكرر، كما أشار إليه المحب الطبرى، منه ﷺ الجمع.

لكن يقال: إن النبى ﷺ أدخل غير نسبه فى آل البيت كما قال عن سلمان: «سلمان منا أهل البيت» رواه الطبرانى(١).

وجاء فى مسلم عن يزيد بن حيان أنه انطلق مع حصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، وطلب حصين منه أن يحدث عن النبى ﷺ، فحدثهم أن النبى كان بماء يُدْعَى «خما» بين مكة والمدينة، فخطب فيهم، ووصى بأهل البيت، فقال: «أذكركم الله فى أهل بيتى» ثلاث مرات، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة بعده، فقال: ومن هم؟ قال: آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.

إذن لأهل البيت إطلاقان، يدخل فى أحدهما نساء النبى ﷺ ولا يدخلن فى الآخر، وهناك خلاف حول نساء النبى ﷺ فى تحريم الصدقة عليهن، والظاهر أن النساء لسن من أهل بيته، قال ابن حجر: «والقول بتحريم الزكاة عليهن ضعيف» اهـ؛ ملخصًا من تفسير الآلوسى فى آيات الحجاب «سورة الأحزاب» وبعد الاطلاع على تفسير ابن كثير يمكن أن يقال: المراد بأهل البيت فى آيات

---

(١) الزرقانى على المواهب فى غزوة الخندق (٢/ ١٠٥).

الحجاب «سورة الأحزاب» ما يعم نساء النبي، بل الخطاب إليهن مباشرة، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾، وعائشة أولى النساء بدخولها في هذه الآية لأن الوحي كان ينزل على النبي وهو معها في لحاف واحد، ولم يحصل ذلك لغيرها.

أما أهل البيت الذين حرمت عليهم الصدقة فهم من انتسبوا إليه عن طريق الدم، وهناك خلاف في أزواجه من هذه الناحية، وكذلك ما ورد من وصية النبي ﷺ بأهل بيته يراد بهم هؤلاء الأخيرون، وكذلك في المباهلة.

* * *

obeikandl.com

الفصل الرابع

تراجم أزواج النبى ﷺ

المتفق عليه من زوجات النبى ﷺ إحدى عشرة، توفى اثنتان منهما حال حياته، وهما خديجة وزينب بنت خزيمة، وتوفى هو عن تسع نسوة، نظمهن الحافظ أبو الحسن بن الفضل المقدسى المتوفى بالقاهرة سنة٦١١ هـ فى قوله:

توفى رسول الله عن تسع نسوة ... إليهن تُعْزَى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية ... وحفصة تتلوهن هندٌ وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة ... ثلاث وست ذكرهن مهذب

وهند هى أم سلمة، ورملة هى أم حبيبة.

وتزوج النبى ﷺ غير هؤلاء، وقيل يبلغن ثنتى عشرة وقال الدمياطى: من لم يدخل بها، ومن وهبت نفسها، ومن خطبها ولم يتفق تزويجها يبلغن ثلاثين، على خلاف فى بعضهن.

والمتفق عليهن صُنِّفن إلى ما يأتى: ست منهن من قريش، وهن: خديجة وعائشة وحفصة وأم حبيبة وأم سلمة وسودة، وأربع منهن عربيات من غير قريش، وهن: زينب بنت جحش وميمونة بنت الحرث، وزينب بنت خزيمة وجويرية بنت الحرث، وواحدة غير عربية من بنى إسرائيل هى صفية.

وقد توفى النبى ﷺ يوم الاثنين بلا خلاف، وكان ذلك فى شهر ربيع الأول باتفاق، بل قد يكون إجماعًا، ودفن ليلة الأربعاء على المشهور عند الجمهور، وقيل: يوم الثلاثاء، وهو غريب.

لقد بدئ برسول الله وجعه، فَحُم وصُدع فى يوم الأربعاء أو الاثنين أو

الخميس لأربع بقين من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة، فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواءه بيده، ولما تكلم الناس فى إمارة أسامة خرج إليهم النبى، وهو مريض، وخطب فى هذا الموضوع، ثم نزل عن المنبر، فدخل بيته يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول سنة إحدى عشرة، واشتد المرض عليه يوم الأحد، وتوفى يوم الاثنين عند الزوال أو آخر النهار يوم الثانى عشر من ربيع، فكانت شكايته حوالى ثلاث عشرة ليلة.

وتحدث العلماء عن يوم وفاته وهو يوم الاثنين، كيف يوافق الثانى عشر من ربيع، وكثر خلافهم فى هذا، مع اتفاقهم على يوم الاثنين، حتى قال بعضهم: إن التاريخ كان ثانى ربيع لا ثانى عشر[1].

هذا، وسنذكر نبذة عن كل واحدة من نساء النبى ﷺ، سواء منهن من دخل بها، أو لم يدخل، وسواء منهن من عقد عليها ومن خطبها، وكذلك من عرضت نفسها عليه، ومن تسرى بهن من الإماء دون عقد زواج.

مع ملاحظة أن هناك خلافًا فى ترتيب زواجهن، وفى العام الذى تزوجت فيه كل واحدة، وفى سنها عند الزواج، وقد تركت بعض ما يتصل بسيرتهن لوروده فى الأجزاء السابقة، وذلك تلافيًا لكثرة التكرار.

* * *

(١) خديجة

١ - اسمها ونسبها: هى خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزى بن قصى بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤى، تجتمع مع النبى ﷺ فى جده قصى.

وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم، وهو جندب بن حجر بن بغيض بن عامر بن لؤى، فنسبها عن أبيها وأمها لقريش.

٢ - حالها قبل زواج النبى بها: كانت توصف فى الجاهلية بالطاهرة، لترفُّعها عما كانت تفعله نساء الجاهلية، وكانت متزوجة من «أبى هالة» واسمه

---

(١) الزرقانى على المواهب (٣/١٠٩ - ١١١).

النَّبَّاش بن زرارة، من بنى تميم، وقيل: اسمه مالك، وقيل: هند، ولدت لأبى هالة: (أ) هند، وهو صحابى؛ (ب) هالة، وهو صحابى أيضًا، وهو الذى هش له النبى ﷺ عندما دخل عليه بعد موت خديجة، وضمه إلى صدره، كما روته عائشة، أخرجه الطبرانى، وهالة ذكر وليس أنثى على الأصح.

وبعد موت زوجها أبى هالة تزوجها عتيق بن عابد، وهو قرشى من بنى مخزوم، فولدت له جارية اسمها هند، وهى صحابية، وقيل: ولدت له ولدًا اسمه عبد الله أو عبد مناف.

وكون أبى هالة هو زوجها الأول قبل عتيق هو قول الأكثرين، وقال بعضهم: إن الذى تزوجها بكْرًا هو عتيق، وبعد موته تزوجها النبى ﷺ.

٣ - زواج النبى بها: لقد سعت السيدة خديجة بنفسها لتتزوج من النبى ﷺ على أثر ما حدثها به غلامها «ميسرة» حين سافر معه فى تجارتها، وما رأته هى أيضًا من الآيات، ولما أنست خديجة من موافقة النبى ﷺ على زواجها بوساطة نفيسة بنت منية[1] عرضت نفسها عليه.

وروى أن نساء مكة اجتمعن فى عيد لهن، فجاء رجل، فنادى بأعلى صوته: إنه سيكون فى بلدكن نبى يقال له: أحمد، فمن استطاع منكن أن تكون زوجًا له فلتفعل، فحصبنه، أى رفضن كلامه، على ما كان معتادًا أن يرمى المتحدث بالحصباء عند عدم الاستجابة له، إلا خديجة، فإنها عضت على قوله، ولم تعرض عنه.

وكان سنُّها إذ ذاك أربعين سنة على الصحيح، وسنُّ النبى ﷺ خمسًا وعشرين، وعليه أكثر العلماء، وقد ذكر النبى ﷺ لأعمامه هذا العَرض أو الرغبة فى الزواج، فخرج معه منهم حمزة وأبو طالب أيضًا، وتقدم يخطبها أبو طالب لكبر سنه، والذى وافق على زواجها قيل: أبوها، وقيل: عمها عمرو، وقيل:

---

(١) قيل: إن اسمها نفيسة بنت أمية بن أبى عبيدة بن همام بن الحرث، أعلام النساء، لعمر كحالة.

أخوها عمرو بن خويلد، لأن أباها كان قد مات قبل ذلك، وقال السهيلي: إنه الأصح، أى أن عمها عمراً هو الذى وافق على الزواج.

ويؤخذ من عدة روايات لأحمد والطبرانى برجال الصحيح عن ابن عباس، وللبزار والطبرانى برجال ثقات عن جابر بن سمرة أن النبى ﷺ كان يرعى هو وشريك له إبلاً لأخت خديجة مدة، فلما انقضت جعل شريكه يأتى يتقاضاها ما بقى لهما عليها، وأما محمد فكان يستحيى أن يطلب، فأعجبت به خديجة، فبعثت إليه، وأشارت عليه أن يتقدم إلى أبيها ليخطبها منه، وهى تكفيه ما يلزم من مال، وفى حفل أعدته خديجة بطعام وشراب لأبيها ولنفر من قريش تمت الخطبة، وأصبح أبوها وهو أمام الأمر الواقع فى موافقته وهو على غير وعى، وأرسلت إلى النبى ﷺ أوقيتى فضة أو ذهب ليشترى حلة وهدايا وأغراضاً يهديها إليها، ففعل. اهـ.

وجاءت فى كتب الشيعة مبالغات ضخمة فى حفلات الزواج دونها ما يسمع عن أمراء الدول الإسلامية من بذخ، وكل ذلك بغير أسانيد يعتمد عليها، ولا تهمنا معرفته.

لقد خطب أبو طالب خطبة أشاد فيها بمحمد وأخلاقه التى تطغى على قلة ذات يده، وأشاد فيها بنسبه العريق، وتقدم ذكرها فى الجزء الأول من هذه الموسوعة.

وكان صداقها عشرين بكرة، وقيل: اثنتا عشرة أوقية ذهبًا ونَشًّا، والنشُّ: نصف أوقية، والأوقية: أربعون درهماً، وفى مسلم عن عائشة: كان صداق رسول الله ﷺ لأزواجه اثنتى عشرة أوقية ذهبًا ونشا، أتدرى ما النش؟ قلت: لا، قالت: نصف أوقية، فذلك خمسمائة درهم، فذلك صداقه لأزواجه.

٤ - فضائلها:

(أ) قال ابن الأثير وأقره الذهبى، وقال الثعلبى وابن عبد البر: إنها أول خلق الله إسلاماً بالإجماع، فسنَّت أحسن السنن، فلها أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

(ب) وجاء فى الصحيحين عن أبى هريرة أن جبريل قال للنبى ﷺ : « يا محمد، هذه خديجة قد أتت بإناء فيه طعام أو إدام أو شراب، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشِّرها ببيت فى الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب »، والقصب : هو اللؤلؤ المجوف، والصخب : هو الصياح والمنازعة برفع الصوت، والنصب : هو التعب .

وفى رواية النسائى عن أنس، قال جبريل للنبى ﷺ : « إن الله يُقْرئ خديجة السلام » يعنى : فأخبرها، فقالت : إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، وقولها : إن الله هو السلام من تمام فقهها، ولذلك لا يقال فى التشهد : السلام على الله، فقد كان الصحابة يقولون ذلك، فنهاهم النبى، وقال لهم : « إن الله هو السلام »، فقولوا : « التحيات لله » .

والبيت الذى من قصب المذكور فى الحديث هو زيادة على ما أعده الله لها، كما قاله أبو بكر الإسكاف فى « فوائد الأخبار » وكان بلا صخب لأنها آمنت بالنبى ﷺ دون حاجة إلى رفع صوت ولا منازعة ولا تعب، كما فعل مع غيرها، بل أزالت عنه كل نصب، وآنسته من كل وحشة، وهوّنت عليه كل عسير، قال ابن إسحق : فكان ﷺ لا يسمع شيئًا يكرهه من رَد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بخديجة إذا رجع، حتى ماتت، وفى الصحيحين أنها ثبتت قلبه عندما جاءه الوحى لأول مرة، وذكرت خصاله الحميدة، وذهبت به إلى ورقة بن نوفل .

(جـ) ومن فضائلها : قول النبى ﷺ كما رواه مسلم : « إنى رزقت حبها » .

(د) ومن فضائلها : أنها أفضل نساء أهل الجنة، فقد روى أحمد وأبو داود والنسائى والحاكم وصححاه من حديث ابن عباس أن النبى ﷺ، قال : « أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون » .

(هـ) ومن فضائلها : ما ردَّ به النبى ﷺ على عائشة من مدح خديجة، وقد تقدم ذكره .

٥ - وفاتها: توفيت بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين على الصحيح، وكان ذلك لعشر خلون من شهر رمضان كما ذكره الدمياطى والواقدى[١]، ودفنت بالحجون، ولم يصل عليها لعدم مشروعية صلاة الجنازة إذ ذاك، وحزن عليها النبى ﷺ حزنًا شديداً، وماتت هى وأبو طالب فى عام واحد، فسماه النبى ﷺ عام الحزن.

وفى صحيح مسلم عن عائشة أن النبى ﷺ لم يتزوج على خديجة حتى ماتت، ولا خلاف فى ذلك، وما روى أنه أخبرها فى مرض موتها بأن الله زوّجه فى الجنة مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وكلثم أخت موسى فمطعون فيه.

* * *

(٢) سودة

١ - اسمها ونسبها: اسمها سَوْدَة، وسودة علم منقول من صفة دالة على المدح، وهو السفح المستقيم، وأطلق عليها ذلك تفاؤلاً أن تكون بعد كبرها بهذه الصفة، وكانت رَضى الله عنها طويلة جسيمة.

وهى بنت زَمْعة [بزاى فميم فعين مفتوحات، وقيل بإسكان الميم] بن قيس ابن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى بن غالب.

وأمها هى الشّمُوس بنت قيس بن عمرو بن زيد، الأنصارية، من بنى عدى ابن النجار، بنت أخى سلمى بنت عمرو بن زيد، أم عبد المطلب، فسودة تجتمع مع النبى ﷺ فى لؤى بن غالب.

٢ - حالها قبل زواج النبى بها: كانت متزوجة من ابن عم لها يقال له: السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود، فالسكران ابن عم أبيها، وهو أخو سهيل بن عمرو، والسكران أسلم مع سودة قديمًا، وهاجرا معًا إلى الحبشة فى المرة الثانية، فلما قدما مكة مات زوجها، وقيل: مات بالحبشة، ولها من زوجها ولد

---

(١) الزرقانى على المواهب (٣/٢٢٦، ٢٣٠).

اسمه عبد الرحمن، قيل: مات بالحبشة، وقيل: مات فى حرب «جَلَوْلاء» وهى قرية بفارس.

روى ابن عباس أنها رأت فى المنام كأن النبى ﷺ أقبل يمشى حتى وطئ عنقها، فأخبرت زوجها بذلك، فقال: إن صدقت رؤياك لأموتن وليتزوجك، ثم رأت فى المنام ليلة أخرى أن قمرًا انقض عليها وهى مضطجعة، فأخبرت زوجها، فقال: لئن صدقت رؤياك لم ألبث إلا يسيرًا حتى أموت وتتزوجين من بعدى، فاشتكى السكران من يومه ذلك، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات.

٣ - زواج النبى بها: بعد موت خديجة جاءت إلى النبى ﷺ خَوْلة بنت حكيم السلمية زوجة عثمان بن مظعون، كما رواه ابن سعد فى الطبقات، فقالت له: ألا أخطب عليك!! قال: «بلى، فإنكن معشر النساء أرفق بذلك»، فخطبت عليه سودة وعائشة؛ وروى أحمد بسند جيد والطبرانى بسند رجاله ثقات عن عائشة، وابن سعد بسند حسن من مرسل أبى سلمة بن عبد الرحمن ابن حاطب، ووصله ابن أبى عاصم: أن خولة جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: ألا تتزوج!! قال: «من»؟ قالت: إن شئت بكرًا، وإن شئت ثيبًا، أما البكر فابنة أحب الخلق إليك عائشة، وأما الثيب فسودة بنت زمعة، قد آمنت بك، واتبعتك، قال: «اذهبى فاذكريهما على»، قالت: فذهبت إلى سودة، فقلت: ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة، قالت: وما ذاك؟ قلت: إن رسول الله ﷺ أرسلنى إليك لأخطبك عليه، قالت: وددت ذلك، ولكن ادخلى على أبى، فاذكرى له ذلك، وكان شيخًا كبيرًا، قد جلس على المواسم، أى تأخر عن الحج، فحييه بتحية الجاهلية، فقلت: أنعم صباحًا، فقال: ومن أنت؟ فقلت: خولة، فرحب بى، وقال ما شاء أن يقول: فقلت: إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يذكر ابنتك، قال: هو كفء كريم، فما تقول صاحبتك؟ قلت: تحب ذلك، فقال: فقولى له: فليأت، فجاء ﷺ، فملكها، أى تزوجها، وقدم عبد الله بن زمعة فوجد أخته قد تزوجها رسول الله، فحثا التراب على رأسه، فلما أسلم كان يجد فى نفسه من ذلك شيئًا، ويقول: إنى لسفيه يوم أحثو التراب على رأسى أن تزوج ﷺ أختى.

عقد النبى ﷺ عليها، ودخل بها فى المدينة، وقيل: دخل بها فى مكة بعد موت خديجة، وكان عقده عليها قبل عقده على عائشة على الصحيح، وعقد عائشة كان فى شوال بعد نحو شهر من وفاة خديجة فى رمضان، ودفع صداقها أربعمائة درهم كما يقول ابن إسحاق.

فالصحيح أن أول امرأة تزوجها النبى ﷺ بعد خديجة هى سودة، ثم دخل بسودة قبل الهجرة، ودخل بعائشة بعد الهجرة، وبهذا الترتيب يجمع بين الأقوال الواردة فى أيتهما كان زواجها قبل الأخرى، تلك الأقوال التى بنيت على الخلاف فى لفظ الزواج الذى يطلق على كل من العقد والدخول، وكان سنها حين تزوجها النبى ﷺ حوالى السبعين عامًا.

٤ - **فضائلها**: كانت رضى الله عنها شديدة الاتباع لأوامر النبى ﷺ، فقد روى أحمد عن أبى هريرة أنه ﷺ قال لنسائه عام حجة الوداع: «هذه ثم ظهور الحُصُر»، قال: فكن كلهن يحججن إلا زينب وسودة، فقالتا: والله لا تحركنا دابة بعد أن سمعنا ذلك منه ﷺ.

وصح عن عائشة أنها قالت: ما من الناس أحد أحب إلى أن أكون فى مِسْلاخه من سودة، إن بها إلا حدة فيها كانت تسرع منها الفيئة، رواه أبو يعلى وغيره، والمسلاخ هو الجلد، وجلد الشىء وغلافه يعطى صورة عنه كما يعطى السلوك الإنسانى هذه الصورة، والمراد أن تكون على هديها وطريقتها، والفيئة هى الرجوع، تمدحها بأن طريقتها فى الحياة مستقيمة ومثالية، وليس بها إلا حدة وسرعة غضب، لكنها كانت تعود إلى الهدوء بسرعة.

وصح عن عائشة أن سودة استأذنت من رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة أن تدفع قبل الناس، أى تفيض وتنزل بمنى، وكانت امرأة بدينة أو بطيئة، أى ثقيلة، فأذن لها، ولأن أكون استأذنته أحب إلىَّ من مفروح به، أى أن عائشة كانت تود أيضًا أن تستأذنه فى الإفاضة، وكانت ستسر بذلك أكثر من سرورها بما يسر به الناس.

وعن إبراهيم النخعى، قال: قالت سودة لرسول الله ﷺ: «صليت خلفك الليل، فركعت بى حتى أمسكت ما بقى، مخافة أن يقطر الدم، أى أنها لم تتم الصلاة خلفه خشية أن ينزل الدم من أنفها لطول الركوع، فضحك النبى ﷺ، وكانت تضحكه بالشىء أحيانًا» رواه ابن سعد برجال الصحيح.

وروى ابن إسحق أنه لما جىء بأسرى بدر، وسودة بنت زمعة زوج النبى ﷺ عند آل عفراء فى مناحتهم على عوف ومعوذ بنى عفراء، وذلك قبل أن يضرب على أمهات المؤمنين الحجاب، قال: تقول سودة: والله إنى لعندهم إذ أتينا، فقيل: هؤلاء الأسارى قد أتى بهم، فرجعت إلى بيتى ورسول الله ﷺ فيه، وإذا أبو يزيد، سهيل بن عمرو، أخو السكران بن عمرو فى ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلا والله ما ملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: أى أبا يزيد، أعطيتم بأيديكم، ألا متم كرامًا؟ فوالله ما أنبهنى إلا قول رسول الله ﷺ من البيت: «يا سودة، أعلى الله ورسوله تحرضين»؟ قلت: يا رسول الله، والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت[1].

وروى ابن سعد عن محمد بن سيرين أن عمر بعث إلى سودة بغرارة من دراهم، فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم، قالت: فى غرارة مثل التمر، ففرقتها.

٥ - طلاقها: أكثر الروايات على أن سودة خافت أن يطلقها النبى لكبر سنها، ففى الصحيحين عن عائشة، قالت: لما كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، وأخرج الترمذى بسند حسن، وأبو داود والحاكم وصححه أن سودة خشيت أن يطلقها النبى ﷺ، فقالت: لا تطلقنى وأمسكنى، واجعل يومى لعائشة، ففعل، وفى شأنها نزل قول الله تعالى: ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾ [النساء: ١٢٨].

---

(١) السيرة (٢/٧٧)، الروض الأنف، للسهيلى.

وجاءت الرواية أنها قالت له: ما بى على الأزواج من حرص، ولا أريد ما تريد النساء، ولكنى أحب أن يبعثنى الله يوم القيامة فى أزواجك، فحقق النبى ﷺ رغبتها وأمسكها عنده حتى توفى، وجعل نوبتها لعائشة.

وسودة نظرها بعيد، فإن المصير النهائى لأزواج النبى فى الجنة، وليس هناك أسمى من هذا المقصد، كما أن الانتساب إلى النبى ﷺ شرف لا يعدله شرف، فهو يرفع الوضيع، ويعز الذليل، وبعض أزواج الرسول ﷺ من عامة الناس، لكن زواجهن به رفع قدرهن، وقد لفت القرآن نظرهن إلى ذلك فى حادث التخيير، فقال: ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ...** ﴾، ويذكرنى هذا بما جاء فى كتب الأدب أن كسرى أنوشروان اصطنع رجلاً، فقيل له: إنه لا قديم له، أى ليس له أصل أو ماض عريق يؤهله لهذا الشرف، فقال: اصطفاؤنا إياه شرَّفه(١).

لكن بعض الروايات وردت بما يفيد أن النبى ﷺ بعث إليها بالطلاق، ثم رجته أن يراجعها فراجعها، بمعنى أنها ليست هى التى خشيت أن يطلقها فعرضت عليه تنازلها عن نوبتها، ولكن النبى هو الذى بدأ بطلاقها لكبر سنها، أخرج ابن حجر فى كتابه المطالب العالية (٤ / ١٣٢) رواية القاسم بن أبى بزة، قال: قال أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الدعولى فى أول معجمه: حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا هشام الدستوائى، حدثنا القاسم بن أبى بزة، قال: بعث النبى ﷺ إلى سودة بنت زمعة بطلاقها، فلما أن أتاها جلست له على طريق عائشة، فلما رأته، قالت له: أنشدك بالذى أنزل عليك كلامه، واصطفاك على خلقه لما راجعتنى، فإنى قد كبرت ولا حاجة لى فى الرجال، لكن أريد أن أبعث مع نسائك يوم القيامة، فراجعها، فقالت: فإنى جعلت يومى وليلتى لحبة رسول الله، وهذا غريب مرسل»اهـ، وجاء فى هامش المحقق: أخرجه ابن سعد والقاسم بن أبى بزة لم يدرك القصة، فألحد.

٦ - **وفاتها**: توفيت رضى الله عنها بالمدينة فى شهر شوال سنة ٥٤ أو ٥٥

---

(١) زهر الآداب، للحصرى (١ / ٢١٠)، طبعة الحلبى.

هجرية فى خلافة معاوية، لكن البخارى ذكر فى تاريخه بإسناد صحيح أنها توفيت سنة ٢٣ هـ فى خلافة عمر بن الخطاب، وجزم به الذهبى، وقال ابن سيد الناس: إنه المشهور.

روت عن النبى ﷺ أحاديث، منها خمسة فى الكتب المتداولة، للبخارى منها حديث واحد.

* * *

(٣) عائشة

١ - اسمها ونسبها: هى عائشة، ويقال فى اسمها أيضاً: عايشة وعيشة، وتكنى أم عبد الله، على ما سيأتى بيانه، وأبوها هو أبو بكر، واسمه عبد الله، ولقبه الصديق، وجدها هو أبو قحافة، واسمه عثمان، فهى عائشة بنت عبد الله أبى بكر الصديق بن عثمان أبى قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى.

وأمها هى أم رومان، واسمها زينب، وقيل: دعد، بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس، وقيل: إنها بنت عبد الله بن دهمان أحد بنى فراس، والمتفق عليه أنها من بنى غنم بن مالك بن كنانة، أسلمت أم رومان، وبايعت الرسول ﷺ وهاجرت إلى المدينة، وماتت بعد النبى ﷺ، وقيل: ماتت فى حياته، وروى ابن سعد والبخارى فى تاريخه وغيرهما أنها لما دُلِّيت فى قبرها، قال النبى ﷺ: «من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان».

٢ - حالها قبل زواج النبى بها: كانت عائشة مخطوبة لجبير بن مطعم، فخطبها النبى ﷺ لأنه لم يكن يعلم أنها مخطوبة لغيره، أو لأن تحريم الْخِطْبة على خطبة الغير لم يكن قد شرع إذ ذاك.

زواج النبى بها:

(أ) **الخطبة**: تقدم فى حديث خطبة السيدة سودة أن خولة بنت حكيم هى التى أشارت على النبى ﷺ بزواج عائشة، وتولت هى خطبتها، فتقول:

أتيت أم رومان، فقلت: ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة، قالت: وما ذاك؟ قلت: رسول الله ﷺ يذكر عائشة، قالت: وددت، انتظرى أبا بكر، فجاء، فذكرت له ذلك، فقال: أو تصلح له، وهى ابنة أخيه؟ فرجعت، فذكرت ذلك للنبى ﷺ، فقال: «قولى له: أنت أخى وأنا أخوك فى الإسلام، وابنتك تصلح لى»، فرجعت فأخبرته بذلك، فقال أبو بكر لأم رومان: إن المطعم بن عدى قد كان ذكرها على ابنه، والله ما أخلف أبو بكر وعداً قط، فأتى المطعم وعنده امرأته أم الفتى، فقال: ما تقول فى أمر هذه الجارية؟ فأقبل على امرأته، فقال: ما تقولين؟ فأقبلت على أبى بكر، فقالت: لعلنا إن أنكحنا هذا الصبى إليك تُصْبئه، أى تحوله عن دين آبائه إلى دينك، وتدخله فى دينك والذى أنت عليه، فقال أبو بكر: ما تقول أنت؟ فقال: إنها تقول ما تسمع، فقام أبو بكر وليس فى نفسه شىء من الوعد، فقال لخولة: قولى لرسول الله ﷺ فليأت: فدعته، فجاء، فتزوجها، رواه الطبرانى وأحمد بن أبى عاصم وغيرهما عن عائشة.

(ب) **العقد**: عقد عليها النبى ﷺ فى شوال سنة عشر من النبوة، قبل الهجرة بثلاث سنوات، وكانت سنها ست سنوات، كما رواه البخارى، وفى رواية مسلم: سبع، ودفع صداقها خمسمائة درهم، ففى صحيح مسلم أن صداق النبى ﷺ لأزواجه كان خمسمائة درهم، وقيل: دفع أربعمائة درهم، وقيل: إن الذى دفع الصداق هو أبو بكر، وكان اثنتى عشرة أوقية ونشا[1]، ودخل بها فى المدينة فى شهر شوال بعد سبعة أشهر من مقدمه إليها، أى فى السنة الأولى من الهجرة، وكانت سنها تسع سنوات إذ ذاك كما ثبت فى الصحيحين، وقيل: كان دخوله بها فى السنة الثانية من الهجرة، بعد ثمانية عشر شهراً من مقدمه إلى المدينة، وهو قول ضعيف.

(جـ) **الزفاف**: تتلخص مظاهر زفافها إلى النبى ﷺ فيما يلى، مأخوذاً من عدة روايات: أخرج الشيخان عن عائشة، قالت: تزوجنى رسول الله ﷺ وأنا ابنة

(١) الروض الأنف (٢/٢).

ست سنين، أى عقد عليها، فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحرث بن الخزرج، فوعكت، أى مرضت بالحمى، فتمرق شعرى، وكان أبو بكر، كما فى رواية الطبرانى، قال للنبى ﷺ: ما يمنعك أن تبنى بأهلك؟[1]، فجاء النبى ﷺ فدخل بيت أبى بكر، كما فى رواية أحمد، فأتتنى أم رومان، وإنى لفى أرجوحة مع صواحب لى، فصرخت بى، فأتيتها لا أدرى ماذا تريد منى، فأخذت بيدى، فأوقفتنى على باب الدار، وأنا أنهج، حتى سكن بعض نفسى، ثم أخذت شيئًا من ماء، فمسحت به وجهى ورأسى، وزاد أحمد: وفرقت جميمتى، أى أصلحت شعرى، ثم أدخلتنى الدار، فإذا نسوة من الأنصار فى البيت، فقلن: على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتنى إليهن، فأصلحن من شأنى، فلم يرعنى إلا رسول الله ﷺ قد دخل علىَّ ضحى، فأسلمتنى أمى إليه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين، وفى زيادة لمسلم: وكانت لعبتى معى، يقول أحمد فى روايته: لما وصلت إلى بيت النبى ﷺ، وكان حجرة بجوار حجرة أبى بكر، فإذا رسول الله ﷺ جالس على سرير وعنده رجال ونساء من الأنصار، فأجلستنى فى حجره، ثم قالت: هؤلاء أهلك يا رسول الله، بارك الله فيهن، وبارك لهن فيك، فوثب الرجال والنساء، ودخل بها النبى ﷺ.

يبدو لى من مجموع الروايات: أن النبى ﷺ كان منتظراً لها فى بيته، فلما استبطأها ذهب فوجد النسوة يصلحن شأنها، فراعهن مجيئه، فقلن له: سنأتى بها إليك، فهو أكرم.

وكانت وليمة العرس جفنة، أى قصعة، بعث بها سعد بن عبادة إلى النبى ﷺ، ولم ينحر النبى ﷺ جزوراً، ولم يذبح شاة، تقول السيدة أسماء بنت يزيد بن السكن خطيبة النساء[2]، والتى كانت تكنى بأم سلمة: كنت صاحبة

---

(١) قال الجوهرى: «قولهم بنى بأهله خطأ، والصواب: بنى على أهله، والأصل فيه أن الداخل على أهله يضرب عليها قبة ليلة الدخول، ثم قيل لكل داخل بأهله، لكن الأول مشهور، لوردوه فى أحاديث صحيحة عن عائشة وعن عروة وغيرهما.

(٢) كنيتها بذلك نص عليها النووى فى شرح مسلم (٤/١٦)، وقال: لإجادتها التكلم والتحدث باسمهن فى الوفود على الرسول ﷺ.

عائشة التى هيأتها، وأدخلتها على النبى ﷺ ومعى نسوة، فوالله ما وجدنا عنده قرى، أى طعامًا يقدم للضيف، إلا قدحًا من لبن، فشرب ثم ناوله لعائشة، فاستحيت، فقلت: لا تردى يد رسول الله، خذى منه، فأخذته على حياء، فشربت، ثم قال: ناولى صواحبك، فقلن: لا نشتهيه، فقال: «لا تجمعن جوعًا وكذبًا»، فقلت: يا رسول الله: إنا إذا قلنا لشيء نشتهيه، لا نشتهيه يعد ذلك كذبًا؟ فقال: «إن الكذب يكتب كذبًا، حتى الكذيبة تكتب كذبة» رواه أحمد(١).

ويلاحظ فى ظروف الزفاف تأثير الحالة الاقتصادية للمهاجرين الذين لم يمض على هجرتهم إلا أشهر، فإن الرسول ﷺ لم يقدم وليمة من عنده، بل كانت هدية من أحد الأنصار هو سعد بن عبادة، وأن الذبح أو النحر لم يكن مستطاعًا للظروف الاقتصادية أولاً، مع أنه هو المعتاد عند العرب والذى ندب إليه الإسلام بعد ذلك، كما يلاحظ أن بيت الرسول لم يكن فيه استعداد لتحية صواحبات العروس إلا قدح من لبن نالت منه العروس ومن معها رشفات، كما أرجح أن قول النساء: لا نشتهيه، ربما كان لتوفيره للنبى ﷺ وعروسه.

٤ - **منزلتها عند النبى ﷺ**: كانت عائشة أحب نسائه إليه، ومن مظاهر حبه لها ما يأتى:

(١) كان يدور على نسائه فى طوافه بهن، ثم يختم بها هى.

(٢) أمر فاطمة أن تحب عائشة، لأنه يحبها، وقد سبق ذلك.

(٣) لما نزلت آية التخيير لزوجاته، بدأ بعائشة، فاختارته.

(٤) اختار النبى ﷺ الإقامة عندها أيام مرضه، وقد وردت بذلك كله الأحاديث الصحيحة.

(٥) قام لها، ووضعت خدها على منكبه، حتى تنظر إلى لعب الحبشة بحرابهم فى المسجد، وأصل الحديث فى الصحيح، ورواه الترمذى وغيره.

---

(١) شرح الزرقانى على المواهب (٣/ ٢٣٢).

(٦) كان يقبلها وهو صائم، ويمص لسانها، كما رواه ابن عدى، ويراجع ذلك فى الجزء الثالث.

(٧) قال لها: «إنى لأعلم إذا كنت علىَّ راضية، وإذا كنت علىَّ غضبى»، قالت: بم يا رسول الله؟ قال: «إذا كنت راضية، قلت: لا ورب محمد، وإذا كنت غاضبة، قلت: لا ورب إبراهيم»، قالت: صدقت، ما أهجر إلا اسمك، رواه البخارى ومسلم والنسائى.

(٨) أنه سابقها فى سفر فسبقته، فلما سمنت وكثر لحمها سابقته فسبقها، فقال: «يا عائشة، هذه بتلك» رواه أبو داود والنسائى.

(٩) دعاه جار فارسى إلى طعام، فقال، مشيراً إلى عائشة: «وهذه معى»؟ فقال الرجل: لا، وأشار له، فقال: «وهذه معى»؟ فقال: لا، وأشار إليه ثالثًا، فقال: «وهذه معى»؟ قال: نعم، رواه مسلم.

(١٠) أن الله أنزل فى براءتها من الإفك وَحْيًا يتلى فى محاريب المسلمين إلى يوم القيامة.

وبهذه المناسبة أقول: إن الشيعة أو كثيراً منهم لا يبرئون السيدة عائشة من هذا الإفك، وجاء وصفها فى كتبهم بما لا يليق بزوجات الرسول ﷺ، حتى الكتب المؤلفة حديثًا لم تسلم من ذلك[١]، قال ابن القيم: اتفقت الأمة على كفر قاذف عائشة[٢].

ولعل وجه كفره أنه كذب القرآن فيما جاء به من براءتها وذم قاذفها، ورب قائل يقول: كيف يحكم بكفره مع أن الله وصفه بالكذب فى سورة النور: ﴿ **لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ** ﴾، وتوعد عليه بالعقاب الشديد فى آيات أخرى، ولم يوصف القاذف لها بالكفر؟ والجواب: إما أن يقال إن وصفه بالكذب والتوعد بالعقاب

---

(١) انظر كتاب «الإمامة بين العقل والدين» لمحمد جواد مغنية.

(٢) زاد المعاد (١ / ٢٦).

الشديد لا ينافى الحكم على القاذف بالكفر، فكل من الكافر والعاصى مشتركان فى الكذب واستحقاق العقاب الشديد؛ وإما أن يقال: إن الحكم فى القرآن على القاذف بالكذب أو غيره كان لأنه ارتكب إثمًا، لا لأنه كذَّب قرآنًا، أما بعد أن نزل القرآن ببراءتها فالقاذف لها مكذب لصريح القرآن، فكان الحكم عليه بالكفر من هذه الناحية، كما أن قذفها فيه إيذاء للنبى ﷺ والنهى الشديد عنه معروف.

(١١) كان النبى ﷺ يعذرها، ويبدى عذرها، كقوله، لما كسرت صحفة ضرتها: «غارت أمكم» أى انتابتها الغيرة التى يتعرض لها أمثالها، فلا تلوموها.

(١٢) كانت إذا هويت الشىء تابعها عليه.

(١٣) فقدها فى بعض أسفاره، فكان يقول: «واعروساه»!! أخرجه أحمد.

(١٤) قال لها، كما جاء فى الصحيحين عنها: «رأيتك فى المنام ثلاث ليال، جاءنى بصورتك جبريل فى سرقة حرير، أى قطعة حرير، يقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فإذا هى أنت، فأقول: إن يك هذا من عند الله يُمْضه» وكانت الرؤيا وحيًا، وفى رواية الترمذى: أن جبريل جاء بصورتها فى خرقة حرير خضراء، وقال: هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة، وروى أيضًا ابن حبان فى صحيحه، وروى البخارى أن عمار بن ياسر خطب، وقال: والله إنى لأعلم أنها زوجته فى الدنيا والآخرة.

وقد عرف الصحابة حب النبى ﷺ لها، فكانوا يبعثون إليه الهدايا عندما يكون فى نوبتها، وأخرج الترمذى بسند صحيح أن رجلاً نال من عائشة، أى تكلم فى حقها بما يشين، عند عمار بن ياسر، فقال عمار: اغرب مقبوحًا منبوحًا، أتؤذى حبيبة رسول الله؟ وروى ابن سعد أن عمر زادها على الأزواج ألفين، وقال: إنها حبيبة رسول الله.

ويضاف إلى مظاهر حب النبى ﷺ لها بعض ما يأتى من الميزات:

٥ - ميزاتها على غيرها: يؤخذ من عدة روايات عنها لابن سعد والطبرانى وابن أبى شيبة أنها فضلت على نساء النبى ﷺ بالأمور الآتية:

(١) لم يتزوج بكرًا غيرها .

(٢) لم يتزوج امرأة أبواها مهاجران غيرها .

(٣) أنزل الله براءتها من السماء .

(٤) جاء جبريل بصورتها من السماء فى حريرة .

(٥) كانت تغتسل هى والنبى ﷺ من إناء واحد ، ولم يصنع ذلك مع غيرها .

(٦) كان يصلى وهى نائمة معترضة بين يديه ، ولم يصنع ذلك مع غيرها من زوجاته .

(٧) كان ينزل عليه الوحى ، وهو معها فى فراشها ، ولم يحدث ذلك مع غيرها ، وقد تقدم .

(٨) قبض النبى ﷺ وهو بين سَحْرها ونحرها .

(٩) قبض فى الليلة التى كان يدور عليها فيها ، ويبدو أنه يلتقى مع إذن نسائه له فى قضاء بقية أيامه الأخيرة عندها .

(١٠) دفن فى حجرتها .

(١١) تزوجها صغيرة السن .

(١٢) أنها أحب النساء إليه ، وبنت أحب الناس إليه .

(١٣) رأت جبريل ولم يره أحد غيرها من نساء النبى ﷺ .

(١٤) خلقت طيبة ، وعند رجل طيب : ﴿ **وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ** ﴾ .

(١٥) وعدت من الله مغفرة ورزقًا كريمًا : ﴿ **أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾ .

٦ - مزاياها العلمية والخلقية :

(١) كانت رضى الله عنها فقيهة جدًّا ، حتى قيل : إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها ، وأما حديث : « خذوا شطر دينكم عن الحميراء »

وحديث: «خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء»، فذكر الحافظ أنه سأل عنه المزى والذهبى فلم يعرفاه، وكذا قال الحافظ فى تخريج ابن الحاجب: «لا أعرف له سنداً» اهـ، والحديث الأول مذكور فى نهاية ابن الأثير بلا إسناد، والثانى فى الفردوس بلا إسناد أيضاً، ويظن بعض الناس خطأ أن لفظ الحميراء تصغير لحمارة فكأن النبى ﷺ يذمها بالبلادة، وهل البليدة يؤخذ عنها شطر الدين أو ثلثه؟ إلى جانب أن التصغير خطأ نحوياً، فالحق أنه وصف بالحمرة الخفيفة، ومدح بالجمال.

(٢) كانت ملمة بعلوم كثيرة غير الأحكام الشرعية، يقول أبو موسى الشعرى: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط، فسألنا عنه عائشة، إلا وجدنا عندها منه علماً، رواه الترمذى وصححه، وقال عروة: ما رأيت أحداً أعلم بالقرآن ولا بفريضة، أى ميراث، ولا بحرام ولا بحلال ولا بفقه ولا بطب ولا بحديث العرب ولا نسب من عائشة؛ رواه الحاكم والطبرانى وغيرهما بسند حسن، وكانت عارفة بأيام العرب، وقائعها وأشعارها، فما كان ينزل بها شىء إلا أنشدت فيه شعراً.

روى أحمد عن عروة أنه قال لها: يا أمتاه، لا أعجب من فقهك، أقول: زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبى بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس، أقول: ابنة أبى بكر، وكان أعلم أو من أعلم الناس به، ولكنى أعجب من علمك بالطب، كيف هو وأين هو؟ فضربتنى على منكبى، وقالت: أى عُرَيَّة، يعنى يا عروة بصيغة التصغير، إن رسول الله ﷺ كان يسقم، أو كانت تكثر أسقامه من آخر عمره، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه، فكانت تنعت له الأنعات، أى تصف له الوصفات، وكنت أعالجها، فمن ثم تعلمت.

(٣) كانت رضى الله عنها فصيحة، قال معاوية: والله ما رأيت خطيباً قط أبلغ ولا أوضح ولا أفطن من عائشة، رواه الطبرانى، وروى أحمد والحاكم عن الأحنف بن قيس، قال: سمعت خطبة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والخلفاء وهلم جرا، فما سمعت من فم أحد منهم كلاماً أفخم ولا أحسن منه من فم عائشة.

(٤) كانت زاهدة كثيرة التصدق، روى ابن سعد عن أم درة، قالت: أتيت عائشة بمائة ألف، فرقتها، وهي يومئذ صائمة، فقلت لها: أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه؟ فقالت: لو أذكرتيني لفعلت.

(٥) كانت كثيرة الحديث عن النبي ﷺ، روت عنه ٢٢١٠ من الأحاديث، اتفق البخاري ومسلم منها على ١٧٤ حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين حديثًا، وانفرد مسلم بثمانية وستين حديثًا، وروى عنها كثير من الصحابة، كعمر وابنه، وأبي هريرة وأبي موسى الأشعري وابن عباس، وكثير من التابعين، منهم سعيد بن المسيب، وعلقمة بن قيس، ومسروق، ومن آل بيتها أختها أم كلثوم، وابنتها عائشة بنت طلحة.

قال النبي ﷺ فيها: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام»، والمراد تفضيلها على نسائه اللائي كن موجودات معها، أما خديجة فقد ورد فيها حديث تفضيلها على نساء أهل الجنة هي وفاطمة ومريم وآسية، كما سبق ذكره.

ومما قيل في سبب تفضيله لها حبه الشديد لها، ومكان أبيها منه، وأنه لم يكن يفارقه في أغلب أحواله، فسرى حبه إلى ابنته، وقيل: كانت عائشة تبالغ في تنظيف ثيابها التي تنام فيها، وكان النبي يقسم لها ليلتين ولكل زوجة ليلة واحدة بعد حادث سودة بنت زمعة، كما تقدم، وكان يدور على نسائه ويختم بعائشة.

٧ - وفاتها: عاشت عائشة مع النبي ﷺ تسع سنوات، وتوفي عنها وهي ابنة ثمان عشرة سنة، توفيت بالمدينة في أيام معاوية، واختلف في عام وفاتها؛ فقيل: سنة ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩؛ قال الواقدي: كانت وفاتها ليلة الثلاثاء ١٧ من رمضان سنة ٥٨ هـ، كما رآه الأكثرون، وكانت سنها حسب هذا القول ٦٧ سنة؛ وأوصت أن تدفن بالبقيع، ودفنت به ليلاً، وصلى عليها أبو هريرة، لأنه كان نائبًا عن أمير المدينة مروان بن الحكم، لغيابه في الحج.

٨ - هل وَلَدت من النبى ﷺ ؟

الصحيح أنه لم يعقب منها مولوداً، وما روى أنها أسقطت منه سقطًا، وسماه عبد الله فضعيف، وكانت تكنى بأم عبد الله، والسبب فى ذلك، كما ورد فى الصحيح عند ابن حبان وأبى داود أن عبد الله بن الزبير، وهو ابن أختها أسماء، لما ولد جاءت به أمه إلى النبى ﷺ فتفل فى فمه، وكان ذلك أول شىء دخل جوفه، كما تقول عائشة، **وقال لها النبي ﷺ** : «هو عبد الله، وأنت أم عبد الله»، قالت: فمازلت أكنى بها، وما وَلَدَتْ قط؛ يروى أبو داود فى سننه عنها قالت: أتيت النبى ﷺ، فقلت: يا رسول الله كنيت نساءك فاكنني، فقال: «تكنى بابن أختك أم عبد الله»، وفى رواية له، فكانت تكنى أم عبد الله، وذكره البخارى فى الأدب المفرد، وكانت عائشة قد استوهبت عبد الله من أبويه، فكان فى حجرها.

٩ - أعمالها بعد وفاة النبى: ﷺ اشتركت مع النبى فى عدة غزوات لمداواة الجرحى وسقيهم كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، ثم اشتركت بعد وفاته فى الحروب التى نشبت بين الصحابة فى وقعة الجمل كما هو معروف، وقد تحدثنا عن بعض نشاطها فى هذا المجال فى الجزء الثانى الخاص بالحجاب.

عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليت شعرى أيتكن صاحبة الجمل الأدبب؟ تقتل حولها قتلى كثيرة، تنجو بعدما كادت»، رواه أبو بكر بن أبى شيبة، قال الهيثمى: رواه البزار ورواته ثقات، وقال البوصيرى: رواه ابن أبى شيبة ورواته ثقات[1].

* * *

(٤) زينب بنت خزيمة

١ - اسمها ونسبها: اسمها زينب، ولقبت فى الجاهلية بأم المساكين، لأنها كانت تعطف عليهم، وأبوها خزيمة بن الحرث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف ابن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة

---

(١) المطالب العالية، لابن حجر (٤/٢٩٧).

ابن خصفة بن قيس عَيْلان، وهى قريبة ميمونة أم المؤمنين، ولم يذكروا اسم أمها، إلا أن على بن عبد العزيز الجرجاني، قال: إنها أخت ميمونة لأمها، فتكون أمها هى هند بنت عوف أو خولة بنت عوف.

٢ - حالها قبل زواج النبى ﷺ بها: اختلف فيمن كانت تحته قبل النبى ﷺ، فقيل: كانت تحت عبد الله بن جحش الذى استشهد فى أحد، فتزوجها النبى ﷺ سنة ثلاث من الهجرة، ولعلها كانت حاملاً من عبد الله فأسقطت بعد موته فانتهت عدتها فتزوجها النبى ﷺ فى السنة نفسها، لأن أحداً كانت فى شوال، ولو لم تكن حاملاً لاعتدت بأربعة أشهر وعشر فيكون زواج النبى ﷺ بها سنة أربع من الهجرة.

وقيل: كانت تحت الطفيل بن الحرث بن عبد المطلب بن عبد مناف، ثم طلقها، وخلفه عليها أخوه عبيدة بن الحرث الذى قتل شهيداً فى المبارزة يوم بدر، وقيل: كانت عند ابن عمها جهيم بن عمرو بن الحرث ثم بعده عند عبيدة فاستشهد، فخلف عليها الرسول ﷺ، لكن الأول أصح الأقوال.

٣ - زواج النبى ﷺ بها: خطبها الرسول ﷺ للزواج وكانت سنها حوالى الثلاثين، فزوجها له قبيصة بن عمرو الهلالى، وأصدقها أربعمائة درهم، وقيل: اثنتى عشرة أوقية ونشا، وكان مكثها عند النبى ﷺ لا يتجاوز العام، قيل شهران، وقيل ثلاثة، وقيل ثمانية.

٤ - وفاتها: توفيت سنة أربع من الهجرة فى شهر ربيع الأول أو الآخر، وكانت سنها عند الوفاة حوالى الثلاثين.

صلى عليها النبى ﷺ ودفنها بالبقيع على الطريق، وهى التى ماتت فى حياته بعد خديجة، وقيل: إن التى ماتت أيضاً ريحانة، على القول بأنها زوجة، وقيل: إنها سُرِّيةً، كما سيأتى توضيحه.

٥ - لا نعلم لها مآثر، ولعل قصر مدة الزواج عند الرسول ﷺ لم يظهر ما عندها من مزايا.

* * *

(٥) حَفصَة

١ - اسمها ونسبها: اسمها حفصة، وأبوها عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عَدى بن كعب بن لؤى.

وأمها زينب بنت مظعون الجمحية الصحابية، أم عبد الله، وهى من المهاجرات، ولدت حفصة قبل البعثة بخمس سنين، وقريش تبنى الكعبة.

٢ - حالها قبل زواج النبى ﷺ بها: كانت تحت الصحابى خُنَيْس بن حُذافة السهمى، فهاجرت معه، ومات عنها بعد غزوة بدر على الأشهر، وقيل: بعد أحد.

٣ - زواج النبى ﷺ بها: عرضها أبوها عمر على أبى بكر الصديق وعثمان ابن عفان فلم يجبه واحد منهما، على ما هو مفصل فى الباب الخاص بالخطبة من الجزء الأول، روى الشيخان وغيرهما عن ابن عمر، قال: تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمى، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قد شهد بدرًا، وتوفى بالمدينة، قال عمر: فلقيت عثمان، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة، قال: سأنظر فى أمرى، فلبثت ليالى ثم لقينى، فقال: قد بدا لى ألا أتزوج يومى هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة، فصمت، فلم يرجع إلى شيئًا، فكنت عليه أوجد منى على عثمان، فلبثت ليالى، ثم خطبها ﷺ، فأنكحتها إياه، فلقينى أبو بكر، فقال: لعلك وجدت علىَّ حين عرضت علىَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئًا؟ فقلت: نعم، قال: فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضت علىَّ إلا إنى قد علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشى سره، ولو تركها لقبلتها.

وأخرج أبو يعلى أن عمر، قال: يا رسول الله، ألا تعجب من عثمان، عرضت عليه حفصة، أعرض عنى؟ فقال ﷺ: «قد زوج الله عثمان خيرًا من حفصة، وزوج حفصة خيرًا من عثمان»، فخطبها رسول الله ﷺ فأنكحه عمر إياها.

وكان تزوجه بها فى السنة الثانية أو الثالثة للهجرة، أى بعد عشرين أو خمسة وعشرين أو ثلاثين شهراً من الهجرة، وكان ذلك فى شعبان، على ما رآه ابن سيد الناس، وكانت سنها إذ ذاك لا تقل عن عشرين سنة، والخلاف فى تحديد عام زواجها مبنى على الخلاف فى أن زوجها خنيساً قتل فى بدر أو فى أحد.

٤ - **فضلها**: كانت صوامة قوامة، كما صح فى الأحاديث، وقالت عائشة عنها: إنها ابنة أبيها، تنبيهاً على فضلها، رواه أبو داود عن الزهرى، واسترضاها النبى ﷺ لما عتبت عليه بوطء مارية فى بيتها، فحرمها، شهد غزوة بدر من أهلها سبعة: أبوها وعمها زيد وزوجها خنيس، وأخوالها: عثمان وعبد الله وقدامة، والسائب ابن خالها عثمان، رُوى لها عن النبى ﷺ ستون حديثاً فى البخارى منها خمسة، وَرَوى عنها جماعة من الصحابة والتابعين.

٥ - **طلاقها**: أخرج ابن سعد والطبرانى برجال الصحيح من مرسل قيس ابن سعد أن النبى ﷺ طلق حفصة، فدخل عليها خالاها قدامة وعثمان ابنا مظعون، فبكت وقالت: والله ما طلقنى عن شىء، فجاء ﷺ، فتخليت، فقال: «قال لى جبريل: راجع حفصة» وروى ابن خيثمة عن أنس أنه ﷺ طلق حفصة تطليقة، فأتاه جبريل، فقال: طلقت حفصة وهى صوامة قوامة، وهى زوجتك فى الجنة؟ وفى تفسير ابن كثير: روى أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من طرق عن عمر أن رسول الله ﷺ طلق حفصة، ثم راجعها، وهذا إسناد قوى، وأخرج الحاكم عن أنس وصححه، قال: «قال جبريل: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك فى الجنة» كما فى الجامع الصغير.

وعن عقبة بن عامر أن النبى ﷺ طلق حفصة، فبلغ ذلك عمر، فحثا على رأسه التراب، وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها، فنزل جبريل من الغد، وقال: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر، ثم أراد أن يطلقها ثانية، فقال له جبريل: لا تطلقها، فإنها صوامة قوامة.

وروى أبو يعلى عن ابن عمر، قال: دخل عمر على حفصة وهى تبكى، فقال: لعل رسول الله ﷺ قد طلقك؟ إنه كان قد طلقك ثم راجعك من أجلى، فإن كان قد طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبداً، قال ابن كثير: رجاله على شرط الشيخين، وفى رواية لمسلم: والله إنى لأعلم أن رسول الله لا يحبك، ولولا أنا لطلقك، وتقدم ذلك.

٦ - **وفاتها**: توفيت فى شعبان سنة ٤٥ بالمدينة فى خلافة معاوية، وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة، وحمل سريرها بعض الطريق، ثم حمله أبو هريرة إلى قبرها، ونزل فيه أخواها عبد الله وعاصم، وسالم وعبد الله وحمزة بنو عبد الله بن عمر، وقيل: توفيت فى جمادى الأولى سنة ٤١ هـ، وقيل: سنة ٤٧، وقيل: سنة ٥٠.

* * *

(٦) أم سلمة

١ - **اسمها ونسبها**: اسمها هند على الأصح، وقيل: رملة، وكنيت بابن لها اسمه سلمة، وأبوها اسمه حذيفة أو زهير أو سهل، وكنيته أبو أمية، ويعرف بزاد الراكب، لأنه كان إذا سافر لم يحمل أحد من رفقته زاداً، بل يكفيهم، وهو أحد أجواد العرب، وهو ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لؤى.

وأمها هى عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك الكنانية، من بنى فراس، وليست عاتكة بنت عبد المطلب، فهى ليست بنت عمه، وإنما هى بنت زوجها، وأخواها عبد الله وزهير ابنا عمته عليه السلام.

كان ميلاد أم سلمة سنة عشر قبل البعثة.

٢ - **حالها قبل زواج النبى ﷺ بها**: كانت تَحْتَ ابن عمها أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن المغيرة المخزومى، وكان زواجها بأبى سلمة سنة أربع من البعثة، وسنها حوالى أربع عشرة سنة، ومكثت معه نحو ثلاث عشرة سنة،

وكانت هى وزوجها ممن أسلم قديمًا بعد زواجها بقليل، وأول من هاجر إلى الحبشة فى أحد الأقوال، وكانت إحدى نساء أربع هاجرن إليها، ومنهن رقية بنت النبى ﷺ مع زوجها عثمان، ولدت بالحبشة «زينب»، وقيل: وضعتها بعد موت زوجها، فحلَّت، فخطبها النبى ﷺ، وكان اسم زينب «برة» فغيره النبى ﷺ وهى صحابية، كما ولدت أيضًا «سلمة» الذى زوجه النبى ﷺ أمامة بنت عمه حمزة، وعاش سلمة إلى خلافة عبد الملك بن مروان، كما ولدت عمر وهو صحابى، استعمله علىٌّ على فارس والبحرين، ومات بالمدينة سنة ٨٣ هـ، على الصحيح، وولدت أيضًا «دُرّة» التى قالت أم حبيبة: يا رسول الله، إنا قد تحدثنا أنك ناكح بنت أبى سلمة، فقال: «إنها لو لم تكن ربيبة فى حجرى ما حلت لى، إنها لابنة أخى من الرضاعة» رواه البخارى، وعلى هذا يكون لأم سلمة من زوجها أربعة أولاد، وفى ترتيب ولادتهم خلاف.

مات زوجها بجرح أصابه فى أحد فعالجه شهرًا حتى برئ، ثم بعثه النبى ﷺ فى سرية، فغاب شهرًا، ثم عاد، فانتقض جرحه، فمات فى جمادى الآخرة سنة أربع من الهجرة على الراجح.

كانت أم سلمة قد سمعت حديث: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول: اللهم آجرنى فى مصيبتى وأخلفنى خيرًا منها إلا أخلف الله له خيرًا منها» رواه أبو داود والنسائى، وآجرنى بوزن أكرمنى، وقيل أجُرْنى بوزن أنصرنى، يعنى أثبنى وأعطنى، وسمعت من زوجها حديثًا رواه مسلم وغيره قريبًا من هذا؛ قالت: فلما مات أبو سلمة استرجعت، وقلت: اللهم عندك أحتسب مصيبتى هذه، كما فى رواية مسلم، ولم تطب نفسى، كما فى زيادة البغوى وغيره، أن أقول: اللهم أخلفنى خيرًا منها، وقلت: أى المسلمين خير من أبى سلمة؟ ثم إنى قلتها، فأخلف الله لى رسول الله ﷺ، فأرسل إلىّ رسول الله ﷺ حاطب بن أبى بلتعة يخطبنى له، هكذا رواه مسلم وغيره، وروى النسائى وغيره عنها بسند صحيح: أن النبى ﷺ أرسل عمر بن الخطاب يخطبها له، وكان أبو بكر وعمر قد تقدما لخطبتها فأبت.

٣ - زواج النبى ﷺ بها: أرسل النبى إليها يخطبها، والخاطب له هو حاطب أو عمر، كما تقدم، فقالت: مرحبا برسول الله ﷺ إن فىَّ خلالاً ثلاثًا أخافهن على رسول الله، أنا امرأة شديدة الغيرة، وأنا مُصْبِيَة، أى ذات صِبْية، وأنا امرأة ليس لى هنا أحد من أوليائى فيزوجنى، وفى رواية للنسائى: قالت: ما مثلى ينكح، أنا لا يولد لى وغيور وذات عيال، فغضب عمر أشد مما غضب لنفسه حين رَدَّته، فأتاها رسول الله ﷺ، فقال لها: «أنا أكبر منك - وكان سنها إذ ذاك من ٢٥-٢٨ سنة وأما ما ذكرت من غيرتك فإنى أرجو الله أن يذهبها عنك - وفى رواية: فسأدعو الله فيذهب غيرتك، فدعا ﷺ، فكانت فى النساء كأنها ليست منهن، ولا تجد من الغيرة شيئًا - وأما ما ذكرت من صبيتك فإن الله سيكفيهم - وفى رواية النسائى: وأما العيال فإلى الله ورسوله - وأما ما ذكرت من أوليائك فليس أحد من أوليائك يكرهنى»، فقالت لابنها: زَوِّج رسول الله، فزوجه، وهذا الابن هو سلمة، وليس عمر على الأصح، وهناك خلاف فيمن ولى زواجها لا محل لذكره هنا.

وروى الطبرانى برجال الصحيح أن النبى ﷺ أتاها فى دارها وطلب زواجها فاعتذرت بشدة الغيرة بما اعتذرت، فقالت لها أم عبد - أم عبد الله بن مسعود -: إن نساء قريش يتحدثن عنك أنك رددت النبى ﷺ لأنك تريدين من قريش أحدث منه وأكثر مالاً، فأتت هى إليه، فتزوجها، وفى رواية لأحمد أن النبى ﷺ استأذن عليها وهى تدبغ إهابًا لها، فغسلت يديها من القرظ، وأذنت له، فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف، فقعد عليها، وخطبها لنفسه.

وروى ابن سعد عنها، قالت: قلت لأبى سلمة: بلغنى أنه ليس امرأة يموت زوجها وهما من أهل الجنة، ثم لم تتزوج بعده إلا جمع الله بينهما فى الجنة، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقى الرجل بعدها، فتعال أعاهدك ألا تتزوج بعدى، ولا أتزوج بعدك، قال: أتعطينى؟ قالت: ما سألتك إلا لأعطيك، قال: فإذا أنا مت فتزوجى، ثم قال: اللهم ارزق أم سلمة بعدى رجلاً خيرًا منى لا يحزنها ولا يؤذيها، فلما مات، قلت: من هذا الذى هو خير لى من أبى سلمة؟ فلبثت ما لبثت، فجاء رسول الله ﷺ فوقف على الباب.. فذكر نحو ما سبق.

أصدقها النبى ﷺ، كما قال ابن إسحق، فراشًا حشوه ليف، وقدحًا، وصحفة، ومِجَشَّة أى رحى، وقيل: أمتعة أخرى، وقيمة ذلك كله عشرة دراهم أو أربعون؛ وفى الحديث أنه بنى بها، فبات، فلما أصبح، قال: «إن لك على أهلك كرامة، فإن شئت سَبَّعْتُ لك، وسبعت لنسائى، وإن شئت ثلَّثْت ودُرْت، فقالت: بل ثلِّث»، وروى أحمد أنه أهداها مسكًا وحلة، كان أعدها للنجاشى، لكنه مات قبل أن يتسلمها، وكان زواجه بها فى شوال من العام الذى توفى فيه أبو سلمة سنة أربع على الصحيح.

٤ - فضلها ومميزاتها:

(١) كانت من أجمل النساء، فإن بنى مخزوم يشتهر نساؤهم بالجمال وحسن التبعل، حتى كان يقال: المخزوميات رياحين العرب؛ روى ابن سعد أن عائشة قالت: لما تزوجها النبى ﷺ حزنت حزنًا شديداً لما ذكر لنا من جمالها، فذكرت ذلك لحفصة، فقالت: ما هى كما يقال: فتلطفت حتى رأيتها، فرأيت والله أضعاف ما وصفت، فذكرت لحفصة، فقالت: نعم، ولكننى كنت غيرى.

(٢) كانت ذات عقل راجح ورأى صائب، وإشارتها على النبى ﷺ يوم الحديبية تدل على ذلك، قال إمام الحرمين: لا نعلم امرأة أشارت برأى فأصابت إلا أم سلمة، وذلك أنها أشارت على النبى ﷺ بالبدء فى التحلل حين أحصروا عن دخول مكة عام الحديبية، حتى يقتدى به الناس الذين عز عليهم أن يرجعوا دون زيارة للبيت.

(٣) كانت ذات وفاء كبير لزوجها أبى سلمة كما يدل عليه كلامها السابق، وكذلك فى هجرتها معه إلى الحبشة، وهجرتها وحدها إليه بالمدينة بعد أن منعها القوم مدة طال فيها عذابها؛ روى ابن إسحق عنها: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل بعيراً له، وحملنى، وحمل معه ابنى سلمة، ثم خرج يقود بعيره، فلما رآه بنو المغيرة، قالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بها فى البلاد، ونزعوا خطام البعير من يدى،

وأخذوني، فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، وأهووا إلى سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، فتنازعوا سلمة حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد ورهط أبي سلمة، وحبسني بنو المغيرة عندهم، فكنت أنطلق غداة وأجلس أبكي بالأبطح، فما أزال أبكي حتى أمْسي سبْعًا أو قربها، حتى مر بي رجل من بني عمي، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وابنها، فقالوا: الحقي بزوجك إن شئت، ورد عليَّ بنو عبد الأسد عند ذلك ابني، فرحلت بعيري، ووضعت ابني في حجري، ثم خرجت أريد المدينة وما معي أحد من خلق الله، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيني عثمان بن طلحة، فقال: أين يا بنت أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة، فقال: هل معك أحد؟ قلت: لا والله إلا الله وبني هذا؛ فقال: والله ما مثلك يترك، فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يقودني، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب كان أكرم منه، إذا نزل المنزل أناخ بي، ثم تنحى إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري، فقدمه ورحله، ثم تأخر عني، وقال: اركبي، فإذا استويت أتى فأخذ بخطامه، فقادني، فلم يزل يصنع ذلك حتى قدم المدينة، فلما نظر إلى قباء، قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة بها »اهـ، وبهذا كانت أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة على قول.

(٤) نزل بعض الوحي في بيتها، وهو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ...** ﴾ كما تقدم، وبسؤالها نزل بعض الوحي كما رواه أحمد عنها، قالت: يا نبي الله ما لي أسمع الرجال يذكرون في القرآن والنساء لا يذكرن، فأنزل الله: ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...** ﴾ وكما رواه الحاكم عنها، قلت: يا رسول الله لا نسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله: ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ...** ﴾.

٥ - وفاتها: توفيت في رمضان أو شوال سنة ٥٨ أو ٥٩ أو ٦٠ أو ٦١ أو ٦٢ هـ، ودفنت بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة على الصحيح، وقيل: سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل، لكن سعيداً كان قد توفي قبلها.

قال ابن حجر: كانت آخر أمهات المؤمنين موتًا، ثبت فى مسلم أن الحرث ابن عبد الله بن أبى ربيعة وعبد الله بن صفوان دخلا عليها فى خلافة يزيد وسألاها عن الجيش، وكان ذلك حين جهز يزيد مسلم بن عقبة بعسكر الشام إلى المدينة، فكانت وقعة الحرة سنة ٦٣ هـ، وكان عمرها عند الوفاة أربعًا وثمانين على الصواب.

* * *

(٧) زينب بنت جحش

١ - اسمها ونسبها: كان اسمها «بَرَّة» فسماها النبى ﷺ «زينب» لما دخلت عليه، لأنه يحب الفأل الحسن، ويكره أن يقال: ما هنا بَرَّة، وليس صحيحًا أن النبى ﷺ غيَّرَ اسمها لأنها كانت تزكى نفسها.

أبوها هو: جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مُرَّة بن كبير بن غنم بن دُودَان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، واسم أبيها كان «بُرَّة» بضم الياء، فقالت زينب: يا رسول الله لو غيّرت اسم أبى، فإن البرة صغيرة، فقال ﷺ: «لو كان أبوك مسلمًا لسميته باسم من أسمائنا أهل البيت، ولكن قد سميته جحشًا، والجحش أكبر من البرة» رواه الدارقطنى[١].

وأمها هى: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، وأمها مختلف فى إسلامها كما تقدم فى الجزء الخاص ببر الوالدين وصلة الأرحام، وأثبت ابن سعد إسلامها، فقال: أطعمها رسول الله ﷺ أربعين وسقًا من خيبر، فكانت موجودة لما تزوج النبى ﷺ بنتها.

٢ - حالها قبل زواج النبى ﷺ بها: كان النبى ﷺ قد زوجها من مولاه زيد ابن حارثة، روى الطبرانى بسند صحيح أن النبى ﷺ خطب زينب، وهو يريدها لزيد، فظنت أنه يريدها لنفسه، فلما علمت أنه يريدها لزيد أبت، واستنكفت، وقالت: أنا خير منه حَسَبًا، فأنزل الله: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ**

(١) الزرقانى على المواهب (٣/٢١٨).

﴿ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فرضيت وسلمت، ومكثت عنده مدة، وألقى الله في قلبه كراهتها، فجاء يشكوها إليه ﷺ، فقال له: «أمسك عليك زوجك واتق الله»، فنزلت: ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ أي علْمَك بالوحي بأنه سيطلقها، وأنك تتزوجها، كما قاله علي بن الحسين والزهري وغيرهما وعليه أهل التحقيق، ثم طلقها زيد لكراهته لها وتعاظمها عليه بشرفها، لا لرغبة المصطفى في نكاحها.

٣ - زواج النبي ﷺ بها: لما انقضت عدتها من زيد، قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: «اذهب فاذكرني لها»، يقول زيد: فذهبت إليها، فجعلت ظهري إلى الباب، فقلت: يا زينب، بعث رسول الله ﷺ يذكرك، فقالت: ما كنت لأحدث شيئًا حتى أوامر ربي عز وجل، فقامت إلى مسجد لها، فأنزل الله على رسوله: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ فجاء رسول الله ﷺ، فدخل عليها بغير إذن، أخرجه مسلم وأحمد والنسائي.

وقال المنافقون: حرم محمد نساء الولد، وقد تزوج امرأة ابنه، لأنه كان قد تبناه، فأنزل الله: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ... ﴾، وكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ، وتقول: زوَّجكن آباؤكن، وزوّجني الله من فوق سبع سوات، رواه الترمذي وصححه، وهذا تحدث منها بنعمة الله عليها، وكان زواج النبي بها سنة ثلاث، وقيل: أربع، وقيل: خمس، وسنها إذ ذاك حوالي خمسة وثلاثين سنة، يقول ابن كثير: نزلت آية الحجاب في صبيحة زواج النبي ﷺ بزينب في ذي القعدة سنة خمس، وقيل: سنة ثلاث.

٤ - زفافها: روى الشيخان البخاري ومسلم، عن أنس: لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا، أي الخبز واللحم كما في الصحيح، وفي رواية غيرهما أن أنسًا جعل يدعو، فيجئ قوم فيأكلون ويخرجون، ثم قوم فيأكلون ويخرجون، حتى ما نجد أحدًا حينئذ، فقال رسول الله ﷺ: «ارفعوا طعامكم»، ثم جلسوا يتحدثون، فإذا هو ﷺ كأنه يتهيأ للقيام، فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، وقام من قام، وقعد ثلاثة نفر، وفي رواية

البخارى: رجلان، فجاء النبى ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس، فانطلق إلى حجرة عائشة وبعض حجر نسائه يسلم عليهن، ويسألنه: كيف وجد أهله، ثم إن القوم الجالسين قاموا، فانطلق أنس، فأخبر النبى ﷺ، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل، فألقى الحجاب بينى وبينه، فأنزل الله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

٥ - **فضلها**: كانت صالحة صوامة قوامة صناعًا، تصدق بذلك على المساكين، كما قالت أم سلمة فى رواية ابن سعد، كانت أوَّاهة خاشعة متضرعة، وكانت عفيفة اللسان أمينة على الأعراض، ففى حديث الإفك قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب عن أمرى، فقالت له: يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى، والله ما علمت إلا خيرًا»، قالت عائشة: وهى التى كانت تساميني من أزواج النبى ﷺ أى تضاهينى وتفاخر بجمالها ومكانتها من النبى ﷺ، فعصمها الله بالورع.

وهى من أول من مات من أزواجه بعده ﷺ، ففى الصحيحين عن عائشة، قالت: قال النبى ﷺ: «أسرعكن لحوقًا بى أطولكن يدًا» فكن يتطاولن، أيتهن أطول يدًا، قالت: وكانت أطولنا يدًا زينب، لأنها كانت تعمل بيديها وتتصدق، وفى رواية قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا فى بيت إحدانا بعد وفاته ﷺ نمد أيدينا فى الجدار نتطاول؛ فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة، ولم تكن بأطولنا، فعرفنا حينئذ أنه ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة، وكانت زينب صناع اليد، فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به فى سبيل الله.

وروى مسلم عن عائشة فى شأنها: ولم تكن امرأة خيراً منها فى الدين، وأتقى لله وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها فى العمل الذى تتصدق به ويقرب إلى الله.

روى ابن سعد وابن الجوزى عن بَرْزة بنت رافع أن عمر أرسل بالعطاء الذى لها، وكان اثنى عشر ألفًا، فأمرت بصبه وطرح ثوب عليه، وقالت لبرزة: أدخلى يدك واقبضى منه قبضة، فاذهبى بها إلى بنى فلان وبنى فلان من أهل رحمها وأيتامها، ففرقته، حتى بقيت بقية تحت الثوب فجعلته لبرزة، فوجد خمسة وثمانين درهمًا، ثم دعت ربها ألا يدركها عطاء عمر بعد عامها هذا، فماتت.

٦ - **وفاتها**: توفيت بالمدينة سنة عشرين أو إحدى وعشرين، وسنها حوالى ثلاث وخمسين سنة وصلى عليها عمر، وكان يعجبه أن يدخل قبرها، ولكن نساء النبى ﷺ رفضن، وقلن: يدخل قبرها من كان يدخل عليها فى حياتها، وهى أولى زوجاته اللاتى جعل على جنازتها نعش، وما سبقها من النساء إلا فاطمة.

* * *

(٨) جُوَيرية

١ - **اسمها ونسبها**: اسمها جويرية، وكان اسمها الأول بَرَّة، فغيره النبى ﷺ، كما فعل مع زينب بنت جحش، وهى خزاعية مصطلقية.

فأبوها الحرث بن أبى ضرار بن حبيب بن عائذ، أو أبى عائذ بن مالك بن جَذيمة، وقيل: جُذيمة، وهو المصطلق بن سعد بن كعب بن عمرو وهو خزاعة، أما أمها فلم يذكر التاريخ اسمها.

٢ - **حالها قبل زواج النبى ﷺ بها**: كانت تحت مُسافِع بن صفوان المصطلقى، الذى قتل كافرًا يوم المريسيع، وكانت قد وقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى، أو فى سهم ابن عم له، وخلصها من ابن عمه بنخلات له فى المدينة، وكان ذلك سنة خمس على الراجح، وقيل: سنة ست،

فكاتبته على نفسها بتسع أواق من ذهب[1]، قالت عائشة: وكانت امرأة حلوة مُلاحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، ومُلاحة أى شديدة الملاحة أو ذات ملاحة، وفُعال مبالغة فى فعيل مثل كريم وكرام، وفُعَّال بتشديد العين أبلغ منه، والملاحة هى الحسن أو البركة أو شدة البياض.

٢ - زواج النبى ﷺ بها: جاءت إلى النبى ﷺ تستعينه فى كتابتها، تقول عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى، فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت، فدخلت عليه، وقصت له أمرها، وأنها لا تطيق ما كاتبت عليه ثابتًا، وتطلب عون النبى ﷺ، فقال لها: «فهل لك إلى ما هو خير»؟ فقالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك» فوافقت.

قال العلماء فى نظر النبى ﷺ إليها: إنها كانت أمة، والأمة يجوز النظر إليها بأكثر مما ينظر إلى الحرة، أو كان النبى ﷺ يريد زواجها، والخاطب ينظر إلى المخطوبة أكثر مما ينظر إلى غيرها، وإلا ما ملأ النبى ﷺ عينه منها، وإن كان من خصوصياته جواز النظر إلى الأجنبية كمعلم أمة وقائدها، وقد تقدم ذلك فى الجزء الثانى الخاص بالحجاب.

أدَّى النبى ﷺ ما كان من كتابة جويرية، وأعتقها وتزوجها، بعد أن وافق ثابت على ذلك، فتسامع الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوجها، فأرسلوا ما بأيديهم من السبى بالفداء أو العتق، وقالوا: هم أصهار رسول الله ﷺ، قالت عائشة: فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها، أعتق فى سببلها مائة أهل بيت من بنى المصطلق، قيل: إنهم يبلغون أكثر من سبعمائة، أخرجه أحمد وأبو داود عن عائشة.

روى البيهقى عن جويرية أنها رأت قبل قدوم النبى ﷺ بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجرها، فكرهت أن تخبر أحدًا، فلما سبيت

---

(١) المكاتبة أن يتفق العبد مع سيده على مال يدفعه ليعتقه، وجاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿ **والَّذين يبتغون الْكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا** ... ﴾ [النور:٣٣].

رجت الرؤيا، فأعتقها وتزوجها، قيل: إن أباها جاء بفدائها بإبل، فغيَّب بعيرين بالعقيق، فسأله النبى ﷺ عنهما، فقال: والله ما اطلع على ذلك إلا الله، فأسلم، وأسلم معه ابنان له، وناس من قومه، وأتى بالبعيرين، ودفع كل ذلك للنبى ﷺ ودفع إليه ابنته، وأسلمت وحسن إسلامها، وخطبها إلى أبيها، فزوجه، وأصدقها النبى ﷺ أربعمائة درهم.

ولما تزوجها حجبها، وقسم لها مع زوجاته، وهذا يدل على أنها حرة لا أمة، وروى ابن سعد بسند صحيح عن مرسل أبى قلابة أن النبى ﷺ لما سبى جويرية جاء أبوها يطلبها، فخيرها النبى ﷺ فاختارت رسول الله، وكانت ابنة عشرين سنة.

٤ - **فضائلها**: كانت جميلة مُلاحة، كما شهدت بذلك عائشة، واجتهدت فى العبادة لتعوض ما فاتها من العمر قبل إسلامها، ومر عليها النبى ﷺ وهى فى مسجدها أول النهار، ثم مر عليها قريبًا من نصف النهار، فقال: «ما زلت على حالك»؟ قالت: نعم، وعلَّمها كلمات تزن ما فعلته هذه المدة: «سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته» ثلاث مرات؛ رواه مسلم.

٥ - **وفاتها**: توفيت وعمرها خمس وستون سنة، وكان ذلك فى شهر ربيع الأول سنة خمسين على الصحيح، وقيل سنة ست وخمسين، وقد بلغت سبعين سنة، صلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة، ودفنت بالبقيع.

* * *

(٩) أم حبيبة

١ - **اسمها ونسبها**: اسمها على الأصح «رملة»، وقيل: هند، واشتهرت بكنيتها بابنتها «حبيبة»، التى ولدتها من عبيد الله بن جحش، ولدت بمكة وهاجرت بها إلى الحبشة، ورجعت معها إلى المدينة، وقيل: ولدت بالحبشة، وحبيبة صحابية، وهى ربيبة النبى ﷺ.

وأبو أم حبيبة هو أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى، وأمها صفية بنت أبى العاصى بن أمية عمة عثمان بن عفان.

٢ - حالها قبل زواج النبى ﷺ بها: كانت تحت عبيد الله بن جحش[١]، هاجر بها إلى الحبشة الهجرة الثانية، ثم ارتد عن الإسلام، فتنصر ومات هناك، وثبتت أم حبيبة على الإسلام، وروى ابن سعد عنها أنها قالت: رأيت فى المنام كأن زوجى عبيد الله بأسوأ صورة، ففزعت، فأصبحت فإذا به قد تنصر، فأخبرته بالمنام فلم يحفل به، وأكب على الخمر حتى مات، فأتانى آت فى منامى، فقال: يا أم المؤمنين، ففزعت، فما هو إلا أن انقضت عدتى فما شعرت إلا برسول النجاشى يستأذن، فإذا هى جارية يقال لها «أبرهة» فقالت: إن الملك يقول لك: وَكِّلى من يزوجك.

٣ - زواج النبى ﷺ بها: بعث النبى ﷺ عمرو بن أمية الضَّمْرى إلى النجاشى ليخطبها النجاشى على النبى ﷺ، فزوجها إياه، وأصدقها عنه أربعمائة دينار، كما فى المستدرك، وقيل: أربعة آلاف درهم، وقيل غير ذلك، وبعث بها إليه مع شرحبيل بن حسنة[٢]، وكان العقد عليها سنة سبع من الهجرة، وهو أشهر من القول بأنه سنة ست[٣].

وكَّلت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف فى زواجها، وهو أصح من قولهم: إن الوكيل عنها هو عثمان بن عفان، لأن عثمان عاد من الحبشة قبل غزوة بدر سنة اثنتين للهجرة، وأعطت أبرهة سوارين وخواتم فضة، سروراً بما بشرتها به، فلما كان العَشِيُّ أمر النجاشى جعفر بن أبى طالب

---

(١) هو أخو عبد الله بن جحش الذى استشهد بأحد.

(٢) حسنة هى أم شرحبيل، وأبوه اسمه عبد الله بن المطاع الكندى.

(٣) يرد هنا سؤال: كيف حفظ النجاشى أو عرف هذا الكلام المقتبس من سورة التوبة أو الصف، وكلتاهما نزل بالمدينة؟ وقد يجاب بأن الاتصال بين المهاجرين إلى الحبشة والمهاجرين إلى المدينة كان موجوداً، فالوحى والتعاليم الدينية كانت تصلهم ليعرفوا بها كيف يعبدون ربهم.

ومَن هناك من المسلمين فحضروا، فخطب النجاشى، فقال: الحمد لله القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد، فأنى أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله، وقد أصدقتها أربعمائة دينار ذهبًا(١)؛ ثم سكب الدنانير بين يدى القوم، فتكلم خالد بن سعيد، فقال: الحمد لله، وأستيعنه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد، فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان، فبارك الله لرسول الله ﷺ فيها، ودفع الدنانير إلى خالد بن سعيد بن العاص، فقبضها، ثم أرادوا أن يقوموا، فقال: اجلسوا، إن من سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج، فدعا بطعام، فأكلوا ثم تفرقوا.

وفى رواية ابن سعد أن أم حبيبة لما وصلها المال أعطت أبرهة منه خمسين ديناراً، فردتها عليها، وردت ما كانت أعطتها أولاً، وقالت: إن الملك عزم عليها بذلك، ثم جاءتها من الغد بعود وورس وعنبر، وزباد كثير، فقدمت به على النبى ﷺ، ذكره ابن الجوزى فى كتابه الصفوة.

٤ - موقف أبيها من زواجها بالنبى ﷺ: كان أبوها أبو سفيان حال نكاحها مشركًا بمكة، محاربًا للرسول، فلما علم أن محمداً تزوج ابنته، قال: هو الفحل لا يقدع أنفه، كما مر، وجاء فى صحيح مسلم عن ابن عباس أن أبا سفيان قال للنبى ﷺ: أسألك ثلاثًا، فأعطاه إياهن... وفيه: عندى أجمل العرب أم حبيبة أزوجك إياها، فقيل: الصحيح أنه تزوجها بعد الفتح لأن أبا سفيان أسلم عام الفتح، لكن يردُّ هذا بأن أباها جاءها وقت الهدنة قبل الفتح فدخل عليها فثنت فراش النبى ﷺ حتى لا يجلس عليه، فالصحيح أنه طلب أن يديم النبى زواجها، ولا يطلقها، أو يقال: إنه أراد أن يجدد عقدها بمعرفته ليكون زواجها برضاه.

---

(١) فى رواية ابن أبى خيثمة عن أم حبيبة أن النبى ﷺ لم يبعث إليه بشىء.

٥ - وفاتها: ماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين، وقيل سنة اثنتين وأربعين أو خمسين أو خمس وخمسين.

روى ابن سعد أنها دعت عائشة عند موتها، واستحلتها مما يكون بين الضرائر، فحللتها، ثم استغفرت كل منهما للأخرى، وكذلك فعلت مع أم سلمة.

* * *

(١٠) صَفِيَّة

١ - اسمها ونسبها: اسمها صفية، وهو الاسم الأصلى، وقيل: كان اسمها قبل السبى «زينب»، فلما صارت من الصفى سميت «صفية»[١].

وأبوها هو حُيى بن أخطب بن سُعْنة - بضم العين أو فتحها - بن ثعلبة بن عبيد بن أبى حبيب، من بنى النضير، من سبط لاوى بن يعقوب، ثم من سبط هرون بن عمران أخى موسى عليه السلام، وكان أبوها سيد بنى النضير، قتل مع بنى قريظة.

وأمها هى ضَرَّة بنت سموأل، ولا يعلم إسلامها، وهى من قريظة، وقيل: إن اسمها «برة».

٢ - حالها قبل زواج النبى ﷺ بها: كانت تحت سلاَّم بن مشكم القرظى، ثم فارقها، فكانت تحت كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، فقتل عنها وهى عروس يوم خيبر فى المحرم سنة سبع من الهجرة.

---

(١) الصفى عند العرب ما يصطفيه من الأغنام لنفسه قبل أن تقسم، وجاء ذلك فى قولهم:

لك المرباع فينا والصفايا ... وحكمك والنشيطة والفضول

أى أن لهذا الشخص هذه الحقوق، وهى:

(أ) المرباع: أى ربع الغنيمة عند القسمة.

(ب) الصفايا: أى ما يصطفيه لنفسه ويعجب به، فيأخذه ولا يدخل القسمة.

(جـ) الحكم: أى الرياسة والقضاء.

(د) النشيطة: هى ما ينشط الإنسان ويأخذه عندما يقع نظره عليه بسرعة.

(هـ) الفضول: هى ما يفضل من الغنيمة بعد التقسيم.

٣ - زواج النبى ﷺ بها: جاء فى مسلم أنه لما جمع سبى خيبر طلب دِحْيَة من الرسول جارية، فقال له: «اذهب فخذ جارية»، فأخذ صفية، فجاء رجل إلى النبى ﷺ، وقال له: أعطيت دحية صفية بنت حيى، سيدة قريظة والنضير، ما تصلح إلا لك، أى لنسبها وجمالها، فاستدعى النبى ﷺ دحية، فجاء بها، فلما نظر إليها، قال: «خذ جارية من السبى غيرها»، قال: وأعتقها، وتزوجها[1]، وجاء فى مسلم أن النبى ﷺ اشتراها منه بسبعة أرؤس، أى سبع من السبايا، وذلك حتى لا يتميز بها دحية عن غيره من سائر الجند، مع أن فيهم من هو أفضل منه، فيكون الخلاف، وكان فيما أعطاه أخت كنانة بن الربيع زوج صفية وابنة عمها، تطييبًا لخاطره، كما نقله الشافعى فى «الأم»، وابن إسحق وغيرهما.

يقول النووى فى التعليق على حديث مسلم فى أخذ النبى لها من دحية: «يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون ردَّ الجارية برضاه، وأذن له فى غيرها، والثانى: أنه إنما أذن له فى جارية من حشو السبى لا أفضلهن، فلما رأى النبى ﷺ أنه أخذ أنفسهن وأجودهن نسبًا وشرفًا فى قومها وجمالها استرجعها، لأنه لم يأذن فيها، ورأى فى إبقائها لدحية مفسدة، لتميزه بمثلها عن باقى الجيش، ولما فيه من انتهاكها مع مرتبتها وكونها بنت سيدهم، ولما يخاف من استعلائها على دحية، بسبب مرتبتها، وربما ترتب على ذلك شقاق أو غيره، فكان أخذه ﷺ إياها لنفسه قاطعًا لكل هذه المفاسد المتخوفة، ومع هذا فعوَّض دحية عنها.

وقوله فى الرواية الأخرى إنها وقعت فى سهم دحية، فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس، يحتمل أن المراد بقوله: وقعت فى سهمه، أى حصلت بالإذن فى أخذ الجارية، ليوافق باقى الروايات، وقوله: اشتراها، أى أعطاه بدلها سبعة أنفس، تطييبًا لقلبه، لا أنه جرى عقد بيع.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (٩/٢١٩).

قال القاضى: «والأولى عندى أن تكون صفية فيئًا، لأنها كانت زوجة كنانة ابن الربيع، وهو وأهله من بنى أبى الحقيق كانوا صالحوا رسول الله ﷺ، وشرط عليهم ألا يكتموه كنزًا، فإن كتموه فلا ذمة لهم، وسألهم عن كنز حيى ابن أخطب، فكتموه، وقالوا: أذهبته النفقات، ثم عثر عليه عندهم، فانتقض عهدهم، فسباهم، ذكر ذلك أبو عبيد وغيره، فصفية من سبيهم، فهى فىء، لا يُخَمَّس، بل يفعل فيه الإمام ما رأى، هذا كلام القاضى، وهذا تفريع منه على مذهبه أن الفىء لا يخمس، ومذهبنا أنه يخمس كالغنيمة، قاله النووى «صحيح مسلم (٩ / ٢٢٠)».

تزوجها النبى ﷺ حيث جعل عتقها صداقها، واشترى لها خادمًا تسمى «رزينة» أو «رُزينة»، وكانت سنها حوالى سبع عشرة سنة، وبزواجها من الرسول ﷺ تحققت رؤياها.

وروى أن النبى ﷺ أتى بصفية يوم خيبر، وقد قتل أباها وأخاها، ومر بها بلال بين المقتولين، فصاحت بنت عمها، وحثت التراب على رأسها، فنهرها النبى ﷺ، وقال لبلال: «أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما»؟ وروى أن النبى ﷺ خيرها بين عتقها لترجع إلى أهلها، أو تسلم فيتخذها لنفسه، فاختارت الله ورسوله، وقيل: إن النبى ﷺ قال لها: «هل لك رغبة فى»؟ فقالت: كنت أتمنى ذلك فى الشرك، فكيف إذ أمكننى الله منه بالإسلام؟ ولعل ذلك لرؤيا منامية، يدل عليها ما أخرجه أبو حاتم ابن حبان فى صحيحه والطبرانى برجال الصحيح عن ابن عمر أن النبى ﷺ رأى بعين صفية خضرة، فسألها عنها، فقالت: كان رأسى فى حجر ابن أبى الحقيق، وأنا نائمة، فرأيت قمرًا وقع فى حجرى، فأخبرته بذلك، فلطمنى، قال: تتمنَّين ملك يثرب، وفى رواية ابن إسحق أنها قصت الرؤيا على أبيها، فلطمها، فلم يزل الأثر فى وجهها حتى تزوجها النبى ﷺ.

٤ - **الدخول بها**: لما كان النبى ﷺ بالطريق عند «سد الصَّهباء» على

بريد من خيبر حلت له، أخرج ابن سعد أن النبى ﷺ لم يخرج من خيبر حتى طهرت صفية من حيضها، فحملها وراءه، فلما صار إلى منزل على ستة أميال من خيبر، يريد أن يُعَرِّس بها، فأبت عليه، فوجد فى نفسه، فلما كان بالصهباء على بريد من خيبر نزل بها هناك، فمشطتها أم سليم، والدة أنس، وكانت قد اعتدت فى بيتها أى استبرأت بحيضة، قالت أم سنان الأسلمية: وكانت من أضوأ ما يكون من النساء، فدخل بها، ثم سألها عن امتناعها من النزول أولاً، فقالت: خشيت عليك من قرب اليهود، فزادها ذلك عنده، وسُرَّ بها.

أصبح النبى ﷺ عروسًا، ثم أمر أنسًا أن يجمع من القوم طعامًا، فجاءوا بالأقط، أى الجبن القريش، والتمر والسمن والسويق، وجعلوا من ذلك حَيْسًا، أى خليطًا، وكان ذلك هو الوليمة، وفى رواية أنه قدم لهم تمرًا، وأقام النبى ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاثًا، يبنى عليه بصفية.

وفى الصحيح أن الناس كانوا لا يعرفون: أهى زوجة أم سُرِّية، فقالوا: إن حجبها فهى امرأته، وإلا فهى مما ملكت يمينه، فلما أراد أن يركب حجبها، يقول أنس: فرأيت النبى ﷺ يُحَوِّى لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره، فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته، حتى تركب، وكل ذلك فى الصحيح.

وجاء فى الصحيحين عن أنس: «أنهم انطلقوا عائدين إلى المدينة التى ارتاحوا لما رأوا جدرها، فأسرعوا بمطاياهم، وكان النبى ﷺ مردفًا صفية خلفه، فعثرت مطيته، فصرعا، أى وقعا، فما نظر إليهما أحد حتى قام النبى ﷺ فسترها، ولما دخلوا المدينة خرج جوارى نساء النبى ﷺ يتراءينها، ويَشْمَتْن بصرعها» اهـ، وقد أنزلها النبى ﷺ فى بيت لحارثة بن النعمان، فسمع نساء الأنصار، فجئن ينظرن إلى جمالها، وجاءت عائشة منتقبة، فلما خرجت خرج النبى ﷺ وراءها، فسألها: «كيف رأيت»؟ قالت: رأيت يهودية، فقال: «لا تقولى ذلك، فإنها أسلمت، وحسن إسلامها»، وبسند صحيح عن ابن المسيب أنها قدمت وفى أذنها خوصة من ذهب، فوهبت منه لفاطمة ولنساء معها.

وتقدم قول زينب بنت جحش عند طلب النبى ﷺ بعيراً لصفية بدل بعيرها الذى اعتل، كما تقدم بكاؤها لإغاظة عائشة وحفصة لها بأنها غريبة وأنهن قريبات الرسول ﷺ.

٥ - **فضلها ومزاياها**: كانت صفية جميلة، كما ذكر، وكانت على عقل وحسن نية، لأنها اختارت النبى ﷺ، ولم ترض الرجوع إلى أهلها، وكانت حكيمة، حيث خافت على الرسول من اليهود إن نزل بها ليدخل عليها قريباً من أهلها.

وعندما مرض النبى ﷺ قالت: ليت ما بك من وجع بى، وتغامز نساء النبى ﷺ عند ذلك، وتقدم أيضاً.. وكانت من حكمتها أن جارية جاءت إلى عمر، فقالت: إن صفية تحب «السبت» وتصل اليهود، فسألها عمر، فقالت صفية: أما السبت فإنى لم أحبه منذ أبدلنى الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لى فيهم رحماً، فأنا أصلهم، ثم أنَّبت الجارية على هذه النميمة، واعتذرت الجارية بأن الشيطان الذى سوَّل لها ذلك، فأعتقتها.

٦ - **وفاتها**: توفيت فى شهر رمضان سنة خمسين، وقيل: سنة ثنتين وخمسين، وذلك فى عهد معاوية، ودفنت بالبقيع، وسنها حوالى ستين سنة، لأنها قالت: ما بلغت سبع عشرة سنة يوم دخلت على رسول الله ﷺ، رواه ابن سعد.

وَرَّثَتْ مائة ألف درهم بقيمة أرض وعرض، وأوصت لابن أختها بالثلث، وكان يهودياً.

* * *

(١١) ميمونة

١ - **اسمها ونسبها**: اسمها ميمونة، وأبوها الحرث بن حَزَن بن بجير بن هُزَم بن رؤبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان، فهى قريبة زينب بنت خزيمة.

وأمها اسمها هند، وقيل: خولة بنت عوف بن زهير بن الحرث بن حماطة ابن حِمْير، الحميرية، ولا يعلم لأمها إسلام.

٢ - حالها قبل زواج النبى ﷺ بها: اختلف فيمن كان متزوجًا بها قبل النبى ﷺ، فقيل: كانت عند أبى رُهْم بن عبد العزى بن قيس بن عبد وُدّ، من بنى عامر بن لؤى، ولا يعلم له إسلام، وكانت قبل أبى رهم عند مسعود بن عمرو بن عمير الثقفى، ففارقها، ولا يعلم له إسلام أيضًا، وقيل: كانت قبل النبى ﷺ عند عبد الله بن أبى رهم المذكور.. وقيل: بل كانت عند أخى أبى رهم، وهو حويطب بن عبد العزى، الذى أسلم يوم الفتح، وقيل: عند فروة بن عبد العزى أخى حويطب، وعلى كل حال فقد كانت على أكثر الأقوال، فى أسرة أبى رهم وأقاربه.

كانت أختها أم الفضل «لبابة» تحت العباس، فأنجبت له الستة النجباء: الفضل وعبد الله وعبيد الله ومَعْبَد وقُثم وعبد الرحمن، وكذلك أختها «لبابة» الصغرى أم خالد بن الوليد، وأختها لأمها هى: أسماء بنت عميس التى تزوجها جعفر بن أبى طالب، وبعد موته تزوجها أبو بكر، وبعد موته تزوجها على، وكذلك أختها لأمها: سلمى بنت عميس التى كانت تحت حمزة، وخلف عليهابعد موته شداد ابن الهاد الليثى، وقيل: إن زينب أم المساكين أختها لأمها، ولذلك يقال: أكرم عجوز فى الأرض أصهاراً هى ابنة عوف، فإن أصهارها هم رسول الله وأبو بكر الصديق وحمزة والعباس وعلى وجعفر وشداد بن الهاد.

٣ - زواج النبى ﷺ بها: مكثت ميمونة فى مكة بعد إسلامها، فلما أراد النبى ﷺ أن يخرج إلى مكة فى عمرة القضاء أرسل أوْس بن خَوْلى وأبا رافع إلى العباس ليزوجه ميمونة، فأضلا بعيريهما، فأقاما ببطن «رابغ» أياماً إلى أن قدم النبى ﷺ فوجدا بعيريهما، فسارا معه حتى وصل مكة، فأرسل إلى العباس يذكر له ذلك، فجعلت أمرها إلى العباس، فجاء النبى إلى منزله، فخطبها، فزوجه، أخرجه ابن سعد ومالك فى الموطأ، وحسنه الترمذى، وقيل: إن العباس

كان قد وصف ميمونة للنبى ﷺ فأرسل إليها جعفرًا يخطبها، فجعلت أمرها إلى العباس فزوجها، وأصدقها عن النبى ﷺ أربعمائة درهم وقيل خمسمائة، كان زواجها سنة سبع بعد غزوة خيبر فى عمرة القضية فى شوال أو ذى القعدة، وكانت سنها حوالى السادسة والثلاثين، وشكرت ربها بإعتاق عبد لها(١).

وكان النبى ﷺ محرمًا، كما رواه ابن عباس، وقيل: بل كان حلالاً، كما روته ميمونة والوسيطان فى الخطوبة، وحاول البعض أن يوفق بين الرأيين، فقال: لعل ابن عباس عبَّر عن الإحرام بأن النبى ﷺ كان فى الحرم أو فى الأشهر الحرم إن كان إحرامه قد انتهى بأداء مناسك العمرة، على أنه لو أراد أنه كان محرمًا ولم يزل فى شعائر العمرة فإن روايتها هى مقدمة على روايته هو، لأن سنَّه كانت إذ ذاك عشر سنوات، وهى صاحبة الحادثة وأدرى بها، والخلاف بين الفقهاء مذكور فى كتب الفقه فارجع إليه؛ على أن التزوج حال الإحرام قد يكون من خصائص النبى ﷺ(٢).

٤ - أين بنى النبى ﷺ بها؟: كان النبى ﷺ يود أن يبنى بها فى مكة بعد أن أقام بها ثلاثًا، لكن جاء مندوبا قريش: حويطب بن عبد العزى - زوجها السابق على قول - وسهيل بن عمرو، وطلبا من النبى ﷺ الخروج من مكة بمقتضى العهد، فقال: «وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم، وصنعت لكم طعامًا فحضرتموه»؟ فقالوا: لا حاجة لنا بك ولا بطعامك؛ فغضب سعد بن عبادة، وقال لسهيل أو لزميله: كذبت، لا أمَّ لك، ليست بأرضك ولا أرض أبيك، والله لا يبرح إلا طائعًا راضيًا، فتبسم النبى ﷺ، وقال: «يا سعد لا تؤذ قومنا، زارونا فى رحالنا»، فخرج، وخلف أبا رافع على ميمونة، فأقام حتى أمسى، فخرج بها، فلقيت من سفهاء مكة عناء، فأتاه بها فى «سَرف» وهى قرية على بعد عشرة أميال من مكة، وقيل: ست أو سبع أو تسع أو اثنا عشر ميلاً، وهو ما بين التنعيم وبطن مَرْو، وإلى التنعيم أقرب، ويشاء الله أن تموت بعد ذلك

---

(١) مسلم (٧/ ٨٥، ٨٦).

(٢) انظر شروط الزواج فى الجزء الأول.

فى سرف، فى الموضع الذى بنى بها فيه باتفاق، ودفنت فى موضع قبتها، وذلك سنة إحدى وخمسين على الصحيح، وقيل سنة ست وستين، وهى آخر من تزوج، وآخر من لحقت به على بعض الآراء.

٥ - وفاتها: توفيت فى سرف كما ذكرنا، وضعّف بعضهم أنها آخر من مات من أزواج النبى ﷺ لأنها ماتت قبل عائشة، وعائشة ماتت قبل الستين بلا خلاف، وصلى عليها ابن عباس، ودخل فى قبرها، روى الشيخان عن عطاء قال: حضرنا مع ابن عباس جنازة ميمونة بسرف، فقال ابن عباس: هذه زوجة النبى ﷺ، فإذا رفعتم نعشها فلا تزعزعوها، ولا تزلزلوها، وارفقوا.

* * *

obeikandl.com

الفصل الخامس

نبذة عن الزوجات الأخريات

أولاً: الواهبات أنفسهن:

١ – أم شريك، وأم شريك هذه اختلف فيها: من هى؟

(أ) فقيل: أم شريك القرشية العامرية، نسبة إلى عامر بن لؤى، واسمها «غُزَيَّة» أو غَزيَّة أو غُزيْلَة، وهى بنت جابر بن عوف من بنى عامر بن لؤى، وقيل: بنت دُودان بن عوف، ينتهى نسبه إلى عامر بن لؤى؛ روى أبو نعيم وأبو موسى بسند ضعيف عن ابن عباس، قال: وقع فى قلب أم شريك الإسلام وهى بمكة فأسلمت، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرًّا، فتدعوهن إلى الإسلام، حتى ظهر أمرها بمكة، فقالوا: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، لكن سنردك إليهم، فحملوها على بعير عُرْى ثم تركوها ثلاثًا بلا أكل ولا شرب، ثم نزلوا منزلاً، وأوقفوها فى الشمس واستظلوا، وحبسوا عنها الطعام والشراب، فدُلى لها دَلْو من السماء، فشربت حتى رويت، ثم صبته على جسدها وثيابها، فلما استيقظوا رأوا أثر الماء وحسن الهيئة، فسألوها، فأخبرتهم، فنظروا إلى الأسقية فوجدوها كما تركوها، فأسلموا بعد ذلك، وأقبلت هى إلى النبى ﷺ ووهبت نفسها له بغير مهر، فقبلها، ودخل بها، وطلقها.

وقال غير ابن عباس: إنه لم يدخل بها.

(ب) وقيل: إن أم شريك ليست هى القرشية، بل أم شريك غزية الأنصارية من بنى النجار، ولم يدخل بها.

(جـ) وقيل: هى أم شريك غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية الأزدية، والأكثرون على أنها هى التى وهبت نفسها للنبى ﷺ فلم يقبلها لكبر سنها، فلم تتزوج حتى ماتت، وذكر ابن سعد أنها لما وهبت نفسها، قالت عائشة:

ما فى المرأة خير حين تهب نفسها لرجل، فقالت أم شريك: فأنا تلك، فسماها الله مؤمنة، فقال: ﴿ **وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ** ﴾، فلما نزلت الآية، قالت عائشة: إن الله ليسرع فى هواك.

ويمكن الجمع بين الأقوال فى أم شريك بأنها واحدة، واختلفت نسبتها، فقد تكون قرشية، ثم تزوجت فى دوس فنسبت إليهم، ثم فى الأنصار فنسبت إليهم، أو لم تتزوج فبقيت أنصارية، وأما أم شريك بنت جابر الغفارية التى ذكرها أحمد بن صالح المضرى فى الزوجات اللاتى لم يدخل بهن فلا تذكر هنا، لأنها لم تهب نفسها.

٢ – قيل: إن الواهبة نفسها ليست أم شريك هذه، بل خولة بنت حكيم ابن أمية السُّلَمى، يقال إن كنيتها أم شريك، وهى زوجة عثمان بن مظعون، ولعل ذلك وقع منها قبل زواج عثمان، أو بعد موته.

٣ – ومن الواهبات أنفسهن ليلى بنت الخطيم، والنبى ﷺ لم يدخل بهؤلاء.

٤ – روى أن ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة أم المساكين من الواهبات أنفسهن، وروى الشيخان أن النساء لما وهبن أنفسهن للنبى ﷺ ،قالت عائشة: أما تستحى المرأة أن تهب نفسها للرجل بغير صداق؟ فنزلت: ﴿ **تُرْجِي مَن تَشَاءُ...** ﴾، قالت عائشة: يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك، وقيل: إن سبب نزول هذه الآية هو همُّ النبى ﷺ بطلاق بعضهن، فلما رأين منه ذلك جعلن النبى ﷺ فى حل من أنفسهن، يؤثر من يشاء على ما يشاء.

ثانيًا: من تزوجهن ولم يدخل بهن:

١ – خولة بنت الهُذَيْل بن هُبَيْرة الثعلبية، تزوجها فماتت فى الطريق قبل أن تصل إليه، وأمها هى خِرْنِق بنت خليفة أخت دحية الكلبى، حملت إليه من الشام فماتت فى الطريق.

٢ – عمرة بنت يزيد بن الجون الكلابية، وقيل فى نسبها: بنت يزيد بن

عبيد الله بن أوس بن كلاب، الكلابية، تزوجها فتعوذت منه حين أدخلت عليه، فقال لها: لقد عُذت بمعاذ، أى بالذى يستعاذ به وهو الله، فطلقها، وقيل: إنه طلقها لأنه وجد بها برصًا، ولم يدخل عليها، أى لم يجامعها، وأمر أسامة بن زيد فمتَّعها بثلاثة أثواب، هكذا روى عن عائشة أنها المستعيذة، وقيل: إن المستعيذة امرأة من بنى سليم، وقيل: إنها أسماء بنت النعمان بن الجون.

وعمرة هذه قيل: إن أباها وصفها للنبى ﷺ بالجمال، ثم قال: وأزيدك أنها لم تمرض قط، فقال النبى ﷺ: «ما لهذه عند الله من خير»، فطلقها لذلك، لا لأنها استعاذت.

٣ - أسماء بنت النعمان بن الجون بن الحرث، وقيل: بنت النعمان بن الأسود بن الحرث بن شراحيل الكندية، روى البخارى[١] عن عائشة أن ابنة الجون لما أدخلت عليه ﷺ، ودنا منها قالت: أعوذ بالله منك، فقال لها: «لقد عذت بعظيم، الحقى بأهلك»، والإجماع على أنه تزوجها، لكن الخلاف فى سبب فراقه لها، قيل: لما دعاها قالت: تعال أنت، وأبت أن تجىء، وقيل لاستعاذتها بالله منه، وقيل: إن نساءه علمنها ذلك، وهما عائشة وحفصة، غيرة من جمالها، فاغتفر لهما ذلك.

ومفردات هذه الرواية، وإن كانت ضعيفة، فهى بمجموعها قوية، والغيرة راعاها النبى ﷺ، وسامح بعضهن فيما ارتكبنه من أجلها، والنبى ﷺ يعرف ذلك، ففى الصحيحين عن عائشة أنه كان يستأذن فى يوم المرأة منا، فكنت أقول له: إن كان ذاك إلىَّ فإنى لا أريد يا رسول الله أن أوثر بك أحداً.

قالوا: لما طلقها النبى ﷺ لاستعاذتها، قالت: أنا الشقية، واستحيا قومها من رد النبى ﷺ لها، وظلت حبيسة حتى ماتت فى خلافة عثمان، وعن ابن عباس أن المهاجر بن أبى أمية تزوجها، فأراد عمر أن يعاقبها، فقالت: والله ما ضرب علىَّ حجاب، ولا سميت بأم المؤمنين، فكف عنها، رواه ابن سعد؛ ولم يثبت أن

---

(١) (ج٧/ص٥٣).

عكرمة بن أبى جهل تزوجها زمن أبى بكر الصديق، وقيل: إن التى تعوذت امرأة غيرها، اسمها: أميمة أو مُليكة أو سنى أو فاطمة، أو بنت الضحاك، أو العالية، فهذه سبعة أقوال.

٤ – أميمة: قيل: اسمها أمامة، وترجمتها فى الإصابة لابن حجر: أميمة بنت النعمان بن شراحيل الكندية، لما أدخلت عليه بسط يده إليها، فكأنها كرهت ذلك، فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين.

وصح عن أبى أسيد، قال: خرجنا مع النبى ﷺ حتى انتهينا إلى حائطين، فجلسنا بينهما، فقال النبى ﷺ: «اجلسوا ها هنا» ودخل، وقد أتى بالجونية، فأنزلت، فى بيت فى نخل فى بيت، أميمة بنت النعمان بن شراحيل، ومعها دايتها حاضنة لها، فلما دخل عليها النبى ﷺ، قال: «هبى لى نفسك» قالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة؟ فأهوى بيده يضعها عليها لتسكن، فقالت: أعوذ بالله منك، فقال: «عذت بمعاذ»، ثم خرج علينا، فقال: «يا أبا أسيد اكْسُها ثوبين، وألحقها بأهلها»، وسبق فى أسماء بنت النعمان شبيه بقصتها، فالله أعلم ،قيل: إنها واحدة، نسبت مرة إلى أبيها ومرة إلى جدها.

٥ – مليكة بنت كعب الليثية الكنانية: قيل: إنها التى استعاذت من النبى ﷺ، والأصح أنه لم يدخل بها، ومنهم من ينكر تزويجه بها أصلاً.

٦ – فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابى: تزوجها بعد وفاة ابنته زينب، وخيرها بين الإقامة معه والطلاق، فاختارت الطلاق، ففارقها، فكانت تلتقط البعر لتبيعه، ضيقًا بمعيشتها، واستبعد بعضهم أن تكون ممن خيرت، فاختارت الدنيا، لأن نسوته كلهن اخترن ما اختارت عائشة، كما ورد فى الصحيحين، وكان التخيير فى السنة التاسعة، ويقال: إن أباها قال للنبى ﷺ: لم تصدع قط، فرفضها النبى ﷺ.

٧ – عالية بنت ظِبيان بن عمرو بن عوف بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب الكلابية، كانت عند النبى ﷺ ما شاء الله ثم طلقها، وهذا يقتضى أنه دخل

بها، وقل من ذكرها، لكن أخرج الطبرانى أنه طلقها من أجل بياض كشحها كالكندية، وروى أنه لم يدخل بها.

٨ – قتيلة بنت قيس، أخت الأشعث بن قيس الكندى، زوجه إياها أخوها سنة عشر حين قدم عليه وفد كندة، ثم انصرف إلى حضرموت، فحملها، فقبض النبى ﷺ قبل قدومها، وقيل: تزوجها قبل وفاته بشهرين، وقيل: إن النبى خيرها، فإن شاء ضرب عليها الحجاب، وكانت من أمهات المؤمنين، وإن شاءت الفراق، فاختارت الفراق، فتزوجها عكرمة بن أبى جهل بحضر موت، فبلغ ذلك أبا بكر، فقال: لقد هممت أن أحرق عليها بيتها، فقال عمر: ما هى من أمهات المؤمنين، لأنه ما دخل عليها، ولا ضرب عليها الحجاب، وقيل: إن النبى ﷺ لم يوص فيها بشيء، ولكنها ارتدت حين ارتد أخوها، ثم عادا إلى الإسلام، ومن ثم لم يقتلا، ونكحها عكرمة، فاحتج عمر على أبى بكر بأنها ليست من أمهات المؤمنين لارتدادها.

٩ – سَنِى أو سَنَى أو وسنى «خلاف فى الضبط» بنت أسماء بن الصامت السُّلَمية، ماتت قبل أن يدخل بها.. وقيل: إن التى تزوجها اسمها: أسماء بنت الصَّلت.

١٠ – شراف بنت خليفة الكلبية، أخت دحية، ماتت قبل دخوله بها، وذلك أثناء مجيئها فى الطريق، وقيل: إن النبى ﷺ بعث عائشة لتنظر إليها، فذهبت ثم رجعت، وقالت: ما رأيت طائلاً، فقال: «لقد رأيت جمالاً اقشعرت كل شعرة منك، فقالت: ما دونك سر.

١١ – ليلى بنت الخطيم، أخت قيس الشاعر المشهور، عرض عليه النبى ﷺ القرآن، فقال: سأرى حولى هذا، ثم مات قبل انتهاء الحول، كانت غيوراً، فاستقالت النبى ﷺ، فأقالها، فأكلها الذئب، وروى بسند ضعيف أنها أقبلت والنبى ﷺ مُوَل ظهره إلى الشمس، فضربت على منكبه، فقال: «من هذا، أكله الأسود»؟ وكان كثيراً ما يقولها، فقالت: أنا بنت مطعم الطير ومُبارِى

الريح، أنا ليلى بنت الخطيم، جئتك لأعرض عليك نفسى، فتزوَّجنى، فقد فعلت، فرجعت إلى قومها، فأخبرتهم، فقالوا: بئسما صنعت، أنت امرأة غَيْرى، والنبى صاحب نساء تغارين عليه، فيدعو الله عليك، فاستقيليه نفسك، فرجعت واستقالته، فأقالها، فبينما هى فى حائط تغتسل إذ وثب عليها ذئب، فأكل بعضها، فأدركت، فماتت، وقيل: هى التى وهبت نفسها للنبى ﷺ فلم يقبل النبى واحدة ممن وهبن أنفسهن له، ذكر ابن سعد أن مسعود بن أوس تزوجها فى الجاهلية، فولدت له عمرة وعميرة، وكانت أول امرأة بايعت النبى ﷺ ومعها ابنتها وابنتان لابنتها، ووهبت له نفسها، ثم استقاله بنو ظفر، فأقالها.

١٢ – امرأة من غفار، يحتمل أنها أم شريك بنت جابر الغفارية، تزوجها وأمرها بنزع ثيابها، فرأى بكشحها بياضًا، فقال: «الحقى بأهلك» ولم يأخذ مما آتاها شيئًا.

هكذا عدَّهن القسطلانى صاحب «المواهب اللدنية»، ولكن غيره زاد عليهن ما يأتى:

أم حرام، سلمى بنت نجدة الليثية، سبا بنت سفيان الكلابية، شاة أو الشفاء بنت رفاعة، الشنباء بنت عمر والغفارية أو الكنانية [قالت لما مات إبراهيم ابن النبى ﷺ: لو كان نبيًّا ما مات أحب الناس إليه، فطلقها]، عمرة بنت معاوية الكندية، ليلى بنت الحكيم الأوسية، مليكة بنت داود، هند بنت يزيد المعروفة بالبرصاء، وقيل: هى عمرة بنت يزيد المتقدمة، أسماء بنت كعب، أميمة بنت النعمان بن شراحيل، ذكرها البخارى، بناء على أنها غير أسماء المتقدمة، آمنة بنت الضحاك الكلابية، على ما ذكره الطبرانى.

فالحاصل أن التى مات فى حياة النبى ﷺ بعد الدخول بهن: خديجة وزينب وأم المساكين، ومات منهن قبل الدخول: أخت دحية، خولة بنت الهذيل باتفاق، واختلف فى مليكة وسنى، هل ماتتا أو طلقهما، مع الاتفاق على أنه لم يدخل بهما.

وفارق بعد الدخول باتفاق: فاطمة بنت الضحاك، بنت ظبيان، وقبل الدخول: عمرة الجونية، وأسماء بنت النعمان الجونية، والغفارية.

والمراد بعدم الدخول عدم الوطء، لا مجرد الخلوة، لأن منهن من اختلى بهن.

واختلف فى أم شريك هل دخل بها، مع الاتفاق على الفرقة، والمستقيلة التى جهل حالها.

فالمفارقات باتفاق سبع، واثنتان على خلاف، والميتات فى حياته أربع، ومات عن عشر: التسع المشهورات، وواحدة لم يدخل بها، هى أخت الأشعث ابن قيس «قتيلة».

ثالثًا: الخطوبات:

روى أن النبى ﷺ خطب عدة نسوة، منهن:

١ – امرأة من بنى مرة بن عوف بن سعد، قيل: إن اسمها جَمْرة بنت الحرث بن عوف بن أبى حارثة المرى [ابنها الشاعر شبيب بن البرصاء] لما خطبها قال أبوها: إن بها برصًا، ولم يكن بها شىء، فرجع، فوجدها كذلك.

٢ – امرأة قرشية يقال لها: سودة، خطبها فقالت: إن لى صبية أخاف أن يضغوا[1] – أى يصيحوا – ويبكوا عند رأسك، فدعا لها، وتركها، وقيل: إنها هى التى قال فيها النبى ﷺ ما رواه البخارى: «خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد فى صغره، وأرعاه لبعل فى ذات يده».

٣ – صفية بنت بشامة، أصابها فى سبى، فخيرها بين نفسه وبين زوجها، فاختارت زوجها، فلعنها بنو تميم.

٤ – امرأة لم يذكر اسمها، خطبها، فقالت: حتى أستأمر أمى، فلما رجعت قال النبى ﷺ: «التحفنا لحافًا غيرك».

٥ – أم هانئ [فاختة أو فاطمة أو هند أو رملة أو حمانة أو عاتكة] بنت أبى طالب، أخت على، قالت لما خطبها النبى ﷺ: إنى مُصْبية، واعتذرت إليه،

---

(١) الفعل ضغا يضغو والمصدر ضغو أو ضغاء.

فعذرها، وعند الطبرانى أنها هى التى قال فيها: «خير نساء ركبن الإبل»، وقيل: إن النبى ﷺ خطبها من عمه، فزوجها لهبيرة، فعاتبه، فقال له: يابن أخى إنا قد صاهرنا إليهم، والكريم يكافئ الكريم، ثم فرق الإسلام بين أم هانئ وبين هبيرة، فخطبها، فقالت: والله كنت أحبك فى الجاهلية فكيف بالإسلام، لكنى امرأة مُصْبية.. وروى أنها اعتذرت بأولادها، فلما كبروا عرضت نفسها عليه، فقال معتذراً: ﴿**وبنات عمّك وبنات عمّاتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاَّتي هاجرْنَ معك**﴾ ولم تكن من المهاجرات، وأخرج الترمذى وحسَّنه، والحاكم وصححه عن أم هانئ: خطبنى النبى ﷺ فاعتذرت إليه، فعذرنى، فأنزل الله: ﴿**إنَّا أحْلَلْنَا لَكَ أزْوَاجَكَ**﴾، فلم أكن أحل له، لأنى لم أهاجر.

٦ – صباعة بنت عامر بن قُرْط، من بنى عامر بن صعصعة، أسلمت قديمًا بمكة، وهاجرت، وكانت من أجمل نساء العرب، وتقدم خبرها فى الجزء الثانى الخاص بالحجاب، خطبها النبى ﷺ من ابنها سلمة بن هشام بن المغيرة المخزومى، فقال: حتى استأمرها، فقالت: أفى رسول الله تستأمرنى؟ إنى أبتغى أن أحشر مع أزواجه، ارجع إليه فقل له: نعم، قبل أن يبدو له، فذكرت للنبى ﷺ أنها قد كبرت سنها، فلما عاد ابنها إلى النبى ﷺ سكت عنها، ولم ينكحها.

٧ – أمامة بنت عمه حمزة [فى اسمها سبعة أقوال] عرضت عليه، فقال: «هى ابنة أخى من الرضاعة» رواه الشيخان.

٨ – عَزة بنت أبى سفيان، وقيل: اسمها درة، وقيل: حمنة، عرضتها عليه أختها أم حبيبة أم المؤمنين، فقال: «لا تحل لى» كما تقدم.

وقيل: تزوج النبى ﷺ: الْجُنْدُعيَّة، امرأة من جندع، بطن من ليث، وهى ابنة جندب بن ضمرة، ولم يدخل بها، وأنكره بعض الرواة.

وزيد فيمن خطبهن: حبيبة بنت سهل بن ثعلبة الأنصارية، نعامة [لم يسم أبوها] من سبى بنى العنبر، وكانت جميلة، عرض عليها النبى ﷺ أن يتزوجها، فما لبث أن جاء زوجها.

* * *

الفصل السادس

السرارى

السرارى جمع سُرِّيَّة، مأخوذة من التسرر، وأصله من السر، وهو من أسماء الجماع، سميت بذلك لأنها يكتم أمرها على الزوجة غالبًا، وضُمَّت سينها جَرْيًا على المعتاد من تغيير النسب، للفرق بينها وبين الحرة إذا نكحت سرًّا، وقيل: مأخوذة من السرور، لأن مالكها يسر بها، قال النبى ﷺ: «عليكم بأمهات الأولاد»، وفى رواية: «بالسرارى، فإنهن مباركات الأرحام» رواه أبو داود فى مراسله مرفوعًا، وفى كامل أبى العباس عن عمر من قوله: ليس قوم أكيس من أولاد السرارى، لأنهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم، يريد إذا كن من العجم، والسرارى التى اتخذهن النبى ﷺ أربعة هن:

١ - مارية القبطية:

مارية بتخفيف الياء معناها فى اللغة العربية البقرة الوحشية، وأما بتشديد الياء فهى القطاة الملساء، قال الواقدى: كانت من «حَفْن» من كورة «أنصْنا» بفتح الهمزة وكسر النون وسكون الصاد بعدها نون وألف، وكانت تسمى أيام البيزنطيين بهذا الاسم أو باسم «أنصلا» باللام بدل النون الثانية، وتسمى القرية الآن باسم «الشيخ عبادة» يقال إن عبادة بن الصامت هو الذى بنى مسجدها(١)، من صعيد مصر، فى مقابلة الأشمونين، كما فى الفتح.

وكانت بيضاء جميلة، وأمها من الروم، وذكر ابن سعد عن عائشة، قالت: ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية، وذلك أنها جعدة جميلة(٢)، فأعجب بها النبى ﷺ، وكان قد أنزلها أولاً بجوارنا، فكان عامة الليل والنهار عندها، ثم حوَّلها إلى «العالية»، وكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا.

---

(١) انظر أهرام ٢٥ / ٦ / ١٩٨١م.

(٢) الجعدة إما ذات الشعر الجعد، وإما الممتلئة الخلق.

وأبوها اسمه شمعون، أهداها إلى النبى ﷺ ،كما رواه ابن سعد، المقوقس «جريج بن مينا» القبطى سنة سبع من الهجرة، صاحب مصر والإسكندرية، وأهدى معها أختها «سيرين» وخصيًّا يقال له «مابور» أو «هَابُو»، وكان شيخًا كبيرًا أخا مارية أو ابن عمها أو نسيبًا لها، أسلم وحسن إسلامه، وكان يدخل على مارية، فرضى، لمكانه منها، أن يَجُبَّ نفسه، فقطع ما بين رجليه، حتى لم يبق له قليل ولا كثير، كما أهدى إلى النبى مع ذلك ألف مثقال ذهبًا وعشرين ثوبًا لينًا من قباطى مصر، وبغلة شهباء اسمها «دُلْدُل» وحمارًا أشهب اسمه: عفير أو يعفور، وأهدى عسلاً من عسل «بنها»، وبعث ذلك كله مع حاطب، فعرض حاطب الإسلام على مارية ورغبها فيه فأسلمت، وأسلمت أختها وبقى الخصى على دينه، حتى أسلم بالمدينة أيام النبى ﷺ، فأعجب النبى ﷺ بالعسل، ودعا بالبركة لعسل «بنها»، ووهب سيرين لحسان بن ثابت، وهى أم عبد الرحمن بن حسان.

كان النبى ﷺ يطأ مارية بملك اليمين، وضرب عليها مع ذلك الحجاب، فحملت منه ووضعت إبراهيم فى ذى الحجة سنة ثمان، وبعد موت النبى ﷺ كان أبو بكر ينفق عليها، ثم بعده عمر، حتى توفيت فى خلافته سنة خمس عشرة أو ست عشرة، وصلى عليها، ودفنها بالبقيع.

من مناقبها أن الله برأها وبرأ قريبها، روى الطبرانى عن ابن عمر: دخل النبى ﷺ على مارية وهى حامل بإبراهيم، فوجد عندها نسيبًا لها، فوقع فى نفسه شىء فخرج، فلقيه عمر، فعرف ذلك فى وجهه، فسأله، فأخبره، فأخذ عمر السيف، ثم دخل على مارية، وقريبها عندها، فأهوى إليه بالسيف، فكشف عن نفسه، فرآه مجبوبًا ليس بين رجليه شىء، فرجع عمر إلى الرسول ﷺ، فأخبره، فقال ﷺ: «إن جبريل أتانى فأخبرنى أن الله تعالى قد برأها وقريبها مما وقع فى نفسى، وأن فى بطنها غلامًا منى، وأنه أشبه الناس بى، وأمرنى أن أسميه إبراهيم، وكنانى «أبا إبراهيم»، وجاء فى مسلم ومسند أحمد أن النبى ﷺ، قال: «إبراهيم ابنى، وإنه مات فى الثدى، وإن له ظئرين يكملان رضاعه فى

الجنة»[1]، وفى تفسير ابن كثير أن إبراهيم مات وله سنة وعشرة أشهر، وقال النبى فيه: «إن له مرضعاً فى الجنة» رواه البخارى.

وروى أن علياً هو الذى أرسله النبى ﷺ بالسيف ليقتل مابور إن وجده عندها، فعرض عليه علىٌّ أن يتثبت بنفسه، لأن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فأقره النبى، فذهب على متوشحاً السيف، فوجده عندها، فاخترط السيف، فعرف أنه يريده، فرقى نخلة، ثم رمى بنفسه، ومال على قفاه، ثم رفع رجله فإذا هو أَجَبُّ أمسح، ما له قليل ولا كثير، فغمد سيفه ورجع يخبر النبى، فقال: «الحمد لله الذى يصرف عنا أهل البيت».

ورواه مسلم عن أنس أن رجلاً كان يتهم بأم ولده ﷺ، فقال لعلى: «اذهب فاضرب عنقه»، فأتاه فإذا هو فى رَكِيَّة يتبرد فيها، فقال له: اخرج، فخرج فناوله بيده فإذا هو مجبوب ليس له ذكر، فكف عنه، ثم أخبره ﷺ.

ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأن عمر ذهب، وكذلك على، غير أن عمر ذهب بعد خروج النبى من عندهما، فلما رآه مجبوباً اطمأن قلبه، وتشاغل بأمره، وتراخى إرسال علىٍ قليلاً بعد رجوع النبى إلى مكانه، ولم يسمع بعد قصة عمر، فلما جاء علىٌ وجد الخصىَ قد خرج من عندها إلى النخل يتبرد فى الماء فوجده، ويكون إخبار عمر وعلى معاً، أو أحدهما بعد الآخر، ثم نزل جبريل بما هو آكد من ذلك، هذا، ومارية هى المقصودة من قول النبى ﷺ فى الحديث الذى رواه مسلم: «إنكم ستفتحون مصر، وهى أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها، فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحماً» وفى رواية: «ذمة وصهراً»، والقيراط نوع من العملة كان معروفاً إذ ذاك، والذمة هى الحق والحرمة، والرحم لأن هاجر أم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام منهم، والصهر لأن مارية أم إبراهيم بن النبى ﷺ منهم.

٢ - رَيْحَانَة:

قيل: اسمها «رُبَيْحَة» بنت شمعون، بالشين والغين، بن زيد بن عمرو بن قُنَافة، أو خُنافة، من بنى عمرو بن قريظة أو من بنى النضير، وكانت متزوجة

---

(١) شرح ثلاثيات مسند أحمد، للسفارينى جـ٢.

رجلاً من بنى قريظة، فسبيت معهم، وإن كانت من بنى النضير نسبًا، لما سباها أبت إلا اليهودية، فعزلها، ووَجد فى نفسه، ثم جاءه ثعلبة بن سَعْيَة يبشره بإسلامها، فسُر بذلك، وعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها، ويضربُ عليها الحجاب، فقالت: بل تتركنى فى ملكك، فهو أخف علىَّ وعليك، فتركها، واصطفاها لنفسه، وماتت قبل وفاته مرجعه من حجة الوداع، ودفنت بالبقيع، وكان النبى يطؤها بملك اليمين، وقيل أعتقها وتزوجها، ويقوى هذا الرأى جماعة.

وذكر ابن سعد عن الواقدى أن النبى ﷺ لما سباها أرسلها إلى بيت أم المنذر بن قيس، فدخل عليها، فاختبأت خياء منه، فدَّعاها وخيرها، فاختارت رسول الله، فأعتقها وتزوجها، فلم تزل عنده حتى ماتت، وكان النبى ﷺ يستكثر منها، ويعطيها ما سألته، ويقال: إنها غارت عليه جدًّا، فطلقها، فشق ذلك عليها، فراجعها، فكانت عنده حتى ماتت قبله.

٣ - نَفيسَة:

هى أمة يقال: إنها جارية زينب بنت جحش، وهبتها للنبى ﷺ لما رضى عنها بعد أن هجرها، حيث كان قد هجرها لما قالت فى صفية: إنها يهودية، هجرها ذا الحجة وصفر، ثم رضى عنها، ودخل عليها فى ربيع الأول الذى قبض فيه، فوهبت له نفيسة.

٤ - أمَة:

هى أمة أصابها النبى ﷺ فى السبى، ولا يعرف اسمها، ذكرها أبو عبيدة معمر.

وبعد،

فهؤلاء، هن النسوة اللائى دخلن حياة النبى ﷺ بطريق مباشر أو غير مباشر، أى بزواج أو خطبة أو هبة أو تمتع بملك اليمين، حاول مؤرخو السيرة إحصاءهن حتى عدوا من لا يعرف لها اسم، وذكروا الخلاف فى بعضهن من جهة الدخول وعدمه، وتحروا معرفة أنسابهن، وذكروا أن المرأة قد تكون واحدة، لكن الخلاف هو فى اسمها أو فى نسبتها إلى أبيها أو قبيلتها، وهو جهد مشكور لكتاب السيرة.

* * *